

الأرمن في الرواية المصرية المعاصرة

إعداد

أ. عبير حسنى عبد الموجود الطحان أ.د. محمد محمود أبوعلى
باحثة دكتوراة أستاذ النقد والبلاغة
قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة دمنهور

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور
العدد الثانى والستون - يناير - الجزء الأول - لسنة 2024

الأرمن في الرواية المصرية المعاصرة

أ.عبير حسنى عبد الموجود الطحان

أ.د. محمد محمود أبوعلى

الملخص

تضمنت الدراسة تناول القضية الأرمنية في الرواية المصرية المعاصرة، حيث إ الفن الروائي من أكثر الفنون استيعاباً للواقع، وقضايا المجتمع. وقع الاختيار على ست من الروايات التي واكبت العصر لتكون نموذجاً للدراسة؛ فاحتوت تلك الروايات مسألة الأرمن بشكل أدبي تضمن الوقائع التاريخية، منها رواية صيد العصاري للكاتب محمد جبريل، ورواية ميمي زهرة أرمنية البيضاء للكاتب عبد العزيز السماحي، ورواية بالأمس كنت ميتاً لرضوى الأسود، ورواية العشاء الأخير لميسرة الدندراوي، ورواية موت منظم لأحمد مجدي همام.

تضمنت الدراسة مبحث عن التعريف بالروايات، ومبحث عن مسببات المذابح، ومبحث عن ترحيل الأرمن، ومبحث عن مشاهد تعذيب الأرمن، ومبحث عن وجود الأرمن في مصر، وانتهت الدراسة إلى إثبات قدرة الأدب على استيعاب الواقع، وخاصة فن الرواية الذي استوعب القضية التاريخية بجميع أبعادها في صورة فنية.

استطاعت الرواية الإلمام بالأسباب التاريخية الحقيقية لوقوع المذابح، وألمت بأحداث التهجير، وما حدث بالأرمن أثناء رحلة التهجير، كما احتوت كثير م مشاهد تعذيب الشعب الأرمني التي توازت مع أحداث التاريخ، انتهاءً بتوضيح طبيعة وجود الأرمن في مصر.

Summary

The study included addressing the Armenian issue in the contemporary Egyptian novel, as the fictional art is one of the arts that most comprehends reality and societal issues.

Six novels that kept pace with the times were chosen to be a model for the study. These novels contained the issue of the Armenians in a literary form that included historical facts, including the novel “The Hunting of the Asari” by the writer Muhammad Jibril, the novel “Mimi, The White Flower of Armenia” by the writer Abdel Aziz Al-Samahi, the novel “Yesterday I Was Dead” by Radwa Al-Aswad, the novel “The Last Supper” by Maysara Al-Dandarawi, and the novel “Organized Death” by Ahmed Magdy Hammam.

The study included a study on introducing novels, a study on the causes of the massacres, a study on the deportation of Armenians, a study on scenes of Armenian torture, and a study on the presence of Armenians in Egypt. The study ended by proving the ability of literature to absorb reality, especially the art of the novel, which absorbed the historical issue in all its dimensions in Artistic picture.

The novel was able to understand the real historical reasons for the occurrence of the massacres, and dealt with the events of displacement, and what happened to the Armenians during the migration journey. It also contained many scenes of the torture of the Armenian people that paralleled the events of history, ending with clarifying the nature of the presence of the Armenians in Egypt.

مقدمة

تعد الرواية جنس أدبي يتسم بالمرونة، يستوعب الواقع ويعبر عن المجتمع بما يحمله من قضايا، وشخصيات، وأحداث، وظواهر، وأماكن، وأزمنة، ويحفظ تاريخ الأمم. والروائي قادر على تصوير الواقع كما يراه، حالة قبوله لهذا الواقع أو رفضه خلال الرواية، التي هي فن التعبير عن الرأي صريحاً إن أراد المبدع الجهر، والستار الذي يحتمي خلفه الراضون.

تستوعب الرواية الواقع والخيال معاً، خلالها يتعايش القارئ مع الأحداث، والشخصيات، والأماكن، والأزمنة، فهي السجل الحافظ للتاريخ، والمعلم للأجيال قديماً وحديثاً ومستقبلاً. وإذا نظرنا إلى الرواية المصرية، وتحديدًا الرواية المصرية التاريخية وجدناها تقوم على تقنيات وفنيات تؤهلها للإقناع والإمتاع في آنٍ واحد، بما تحمله من جو درامي وعناصر تشويق، إلى جانب البساطة في التعبير التي يتميز بها الروائي المصري. والكثير من الروايات حفظت تاريخاً وسجلت أحداثاً فاصلة ومهمة، ومن الموضوعات التي تطرق إليها الروائيون المصريون تواجد بعض العناصر الأجنبية داخل الدولة، وظاهرة كظاهرة تواجد عناصر دخيلة على الوطن لابد من أن ينظر إليها بعين الاهتمام والفحص والتدقيق وتستحق الدراسة، تحسباً لشخصية هذا العنصر وإمكانية تأثيره على الوطن بالنفع أو بالضرر؛ لذلك ينبغي معرفة ودراسة الأسباب والدوافع وراء تواجد هذا العنصر داخل الدولة، والدراسة بما طرأ على المجتمع بعد التعايش من الناحية السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية.

والأرمن من العناصر التي لجأت إلى مصر وتعايشت مع أهلها، فهم شعب له وجوده وكيانه، تعرضوا قديماً للإبادة والترحيل من بلادهم على يد الأتراك، ونزحوا إلى البلاد المختلفة، ومصر من أولى الدول التي استوعبت الأرمن حين الأزمة.

لذلك وجب التطرق إلى دراسة هذه الفئة، والرواية المصرية كانت المرأة التي عكست حياتهم وأزماتهم وأنشطتهم، كما تجلت من خلالها سمات الشخصية الأرمنية، وصورت الرواية حياة الأرمن وتاريخهم قديماً وحديثاً، تناولت الأجيال القديمة، والأجيال الجديدة منهم، كما عرضت بيئة العمل لديهم، وعرضت للمرأة، وللرجل، وللطفل، وللشيخ، ولحياتهم على كافة المستويات الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية، وقدراتهم الشخصية.

ومن هذه الروايات تبعاً للتسلسل الزمني:

1. **رواية صيد العصاري:** للكاتب المصري محمد جبريل، صدرت عن دار البستاني للنشر والتوزيع 2004م.
 - 2- **رواية ميمي زهرة أرمنيا البيضاء:** للكاتب المصري عبد العزيز السماحي، صدرت الرواية عن دار أوراق للنشر والتوزيع عام 2014م، يعرض فيها لمأساة الأرمن وطردهم من بلادهم وهجرتهم إلى مختلف البلدان، فيسرد قصة الأسرة الأرمنية التي هجم عليها الأتراك، وأجبروهم على الهجرة، فمروا بالصحراء ولاقوا الأهوال إلى أن وصلوا إلى مصر، عرض ذلك موضعًا العلاقات بين الأرمن والمسلمين.
 3. **رواية بالأمس كنت ميتًا:** للكاتبة المصرية رضوى الأسود، صدرت عام 2019م، رواية مصرية موضوعها مذابح الأرمن.
 4. **رواية العشاء الأخير:** للكاتب ميسرة الدندراوي، صدرت هذه الرواية عام 2020م، وأبرز الكاتب سمات جيل الأرمن الجديد خلال الرواية، كما صور قدرتهم على البقاء والصمود وإتقان العمل والانتقام.
 - 5- **رواية الباشا** للكاتب سمير ذكي، صدرت طبعها الأولى عام 2020م عن جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية، تناولت سيرة الأرميني المصري نوبار باشا، وبث الكاتب من خلال السيرة المعلومات عن الأرمن وخصالهم، وظروف حياتهم، وما تعرضوا له من مذابح.
 6. **رواية موت منظم:** للكاتب أحمد مجدي همام، الصحفي المصري، صدرت هذه الرواية عن دار هاشيت أنطوان، مؤسسة نوفل في العاصمة اللبنانية ببيروت، 2021م، تروي الرواية مأساة الأرمن ومذبحة عام 1915م، وصور الكاتب خلالها العلاقة بين الأرمن ومصر متجسدة في علاقة احترام شخصية بين عبدالرحمن وماجدة، ومن خلال التوقف أمام هذه الروايات بالدراسة والتحليل، اتضحت أمورًا متعددة منها أبعاد القضية الأرمنية كمسبباتها، وطبيعة أحداث المذابح، ورحلات التهجير في الصحاري، وطبيعة مشاهد التعذيب، وعلاقة الأرمن بمصر والمصريين، كما طرحت الروايات صورة عامة عن ذلك الشعب وما اتسم به من خصال عامة، وأخلاقيات، وعلاقة الأرمن بوطنهم الأم، وتمسكهم بهويتهم.
- اتضح ذلك من خلال التحليل للروايات المصرية؛ فتلك الصورة التي تكونت عن ذلك الشعب هي صورة الرواة المصريين، فقد عرضوا لأرائهم من خلال الروايات، وطرخوا وجهة نظر الكتاب المحدثين بالألفية الجديدة عن القضية الأرمنية؛ فلم ينظروا إلى تلك الفئة بعين

الاتهام والإدانة، والجميع نظر لهم بعين الشفقة مع اطلاعهم على مؤلفات التاريخ التي أتت على أبعاد القضية، واتضح ذلك خلال الروايات.

أسباب اختيار موضوع الدراسة:

من أهم الأسباب والدوافع التي أدت إلى اختيار هذا الموضوع الآتي:

1. إثبات قدرة الأدب على مسايرة الحياة والفصل في القضايا والظواهر
2. الاهتمام بالرواية بوصفها جنسًا أدبيًا يستحق الدراسة.
3. النظر إلى الجديد حول النقد الأدبي بصفة عامة والفن الروائي بصفة خاصة.
5. قدرة الفن الروائي على بلورة التاريخ والجمع بين جدية العلم وجمال الفن.

أهمية الدراسة:

1. مواكبة الجديد في فن الرواية المصرية حيث تناولت الدراسة نماذج من الرواية المصرية بالألفية الجديدة.

2. الإحاطة بكيفية استيعاب الرواية للتاريخ وللأحداث السياسية.

تساؤلات الدراسة:

تطرح الدراسة العديد من التساؤلات وهي على النحو الآتي:

ما مسببات المذابح الأرمنية؟ ماذا عن أحداث تهجير الأرمن؟ ما ذا عن صور تعذيب الشعب الأرمني؟ ما موقف مصر من الشعب الأرمني؟

الدراسات السابقة:

لم توجد دراسة تناولت تبني الرواية المصرية للقضية الأرمنية في فترة الألفية الجديدة، لكن وجدت دراسات حول روايات تناولت بعض جوانب القضية الأرمنية، لكن تلك الدراسات لن تطرق إلى تكوين فكرة كاملة أو شبه كاملة عن ذلك الشعب وأغلبها كانت أبحاث أو مقالات منشورة في مجلات ودوريات، فمن تلك الدراسات الآتي

1-الأرمن وسؤال المواطنة في رواية صيد العصاري للروائي محمد جبريل: شوقي بدر يوسف، القدس، نوفمبر، 2014م. تلك الدراسة بحث منشور عرض الكاتب فيه للمسألة الأرمنية وموقف الأرمن من وطنهم الأم وإشكالية ارتباطهم به، وأشار إلى العلاقات بين الأرمن والمصريين من خلال الشخصيات الروائية، لكن كان هدفه الواضح من الدراسة هو مناقشة إشكالية مسألة الوطن بالنسبة للشعب الأرمني.

2- ميسون الأسدي وتراخيل الأرمن: زياد جيوسي، مجلة الكلمة، العدد 104، 12/10/2015م. في تلك الدراسة تتبّع الكاتب رواية تراخيل الأرمن لميسون الأسدي، وكشف

عما جاءت به الكاتبة من أحداث المذابح على مدار فصول الرواية في صورة قصائد شعرية أحيانًا؛ تذكراً للجيل الجديد من الأرمن وزيادة لوعيهم بما حدث بهم.

3- القمع والحرية في الرواية العربية: إشكالية مذابح الأرمن نموذجًا، يوسف شوقي بدر، اتحاد الكتاب العرب، 2016م. تضمنت تلك الورقة البحثية ما تعرض له الأرمن من مذابح من خلال الروايات العربية منها الروايات السورية، ورواية صيد العصاري من الروايات المصرية.

4- مذابح الأرمن بين رواية لقيطة إسطنبول وفيلم الوعد، رضا سليمان، الحياة، 5/5/2021م. تلك الدراسة عبارة عن عقد مقارنة بين رواية لقيطة إسطنبول للكاتبة التركية ألف شافاك تحدثت فيها عن مذابح الأرمن وفيلم الوعد الذي اتخذ منه المخرج فرصة للكشف عن تلك المذابح، وعرض بالفيلم أسباب الإبادة، ورحلات التهجير، وتعذيب الأطفال، واغتصاب النساء، واتهام الأرمن بالخيانة إلى جانب إنكار الجريمة، وأشار إلى مشاركة الأكراد في القتل، وموقف المسلمين من تلك الجرائم ومحاولة شيوخ المسلمين منع التماذي في وقوع تلك الجرائم وتأكيد تحريم قتل النفس، فقامت الدراسة على سرد تفاصيل القضية الأرمنية من خلال مناقشة الرواية والفيلم.

5- إعادة الذاكرة لتراجيل الأرمن: زياد الجيوسي، وكالة قدس للأبناء، 2021م. تناول الكاتب في تلك الورقة البحثية رواية تراجيل الأرمن فقدم تقديم مختصر للرواية التي تناولت أحداث مذابح الأرمن.

هذا بالنسبة لطبيعة الدراسات الأدبية التي تناولت القضية الأرمنية؛ حيث لم توجد دراسة قامت على تمثيل الرواية المصرية تحديدًا للقضية الأرمنية وللشعب الأرمني.

خطة الدراسة:

المبحث الأول: التعريف بالروايات

المبحث الثاني: مسببات القضية

المبحث الثالث: أحداث التهجير.

المبحث الرابع: مشاهد التعذيب.

المبحث الخامس: الأرمن في مصر

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

منهج الدراسة:

وقد اعتمدت في هذه الدراسة غير منهج، على المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي، وهذا ما تطلبته طبيعة الدراسة.

من خلال عرض أحداث الروايات نماذج الدراسة نستطيع من خلالها تكوين صورة عن المسألة الأرمنية، مع محاولة الفصل بين الأحداث الحقيقية والمثخيلة وما ترمي إليه تلك الأحداث التي استعان بها الروائي لعرض فكرته عن القضية.

إلى جانب توضيح طريقة عرض الكاتب الفنية للأحداث، وطريقة الصياغة ومعالجة التاريخ بطريقة فنية مستعيناً بفن الرواية؛ ليعرض أسباب نشأة القضية الأرمنية، وسرد أحداث التهجير، والتعذيب، وموقف الشعب الأرمني، وموقف العرب من ذلك الشعب، إلى جانب التطرق لأهم النقاط التاريخية الفاصلة في تلك القضية بشكلٍ روائي.

يتطلب هذا عرض أحداث الروايات محل الدراسة، والتطرق إلى مناقشة جميع ما سبق عرضه من نقاط أساسية؛ من خلال النظر إلى كل فكرة أساسية في كل رواية سوف تتوصل الدراسة إلى ما يقرب من الحقيقة؛ وذلك عن طريق المقارنة بالأحداث التاريخية الحقيقية التي وردت بالفصل الأول من الدراسة فيما يخص القضية الأرمنية، وتتمكن الرواية من القيام بذلك حيث "تعد الرواية من أقدر الفنون على تقديم تفاصيل الحياة بكل حقائقها وأوهامها، مما يتيح لنا دراسة إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر فيها، إذ تستطيع أن تفتح أمام المتلقي طريق فهم الذات والآخر معاً، فهي قادرة على نبش أعماقنا وتجسيد أفكارنا ومشاعرنا وأحلامنا، وطرح ما يعترضنا من إشكالات تعانينا" الأنا" في مواجهة الآخر.¹

فحين نتناول الأسباب التي أدت إلى تأزم المسألة الأرمنية كما صورتها الروايات محل الدراسة؛ سوف نتوصل إلى أن أكثر الأسباب شيوعاً في الروايات عبر الحدث الروائي يعد السبب الحقيقي للأزمة الأرمنية بشرط المطابقة لحقائق التاريخ مع اختلاف العرض الفني للحدث الروائي تبعاً لأسلوب وطريقة كل كاتب؛ لذلك يجب تناول أهم عناصر القضية في صورة مباحث.

قبل ذلك يجب تناول الحدث من الناحية النظرية لتكوين فكرة مكتملة عن الحدث الروائي ودوره في تكوين الصورة، حيث إن الحدث هو جوهر العمل فقد "يشكل الحدث روح النص

¹ . ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، 2013م، ص14

السردى ومحركه الأساس.² تلتف حوله بقية عناصر الرواية، كما يكشف عن مضمون القضايا المطروحة، وفكر كل كاتب.

فالحديث "سلسلة من الوقائع المتصلة تتسم بالوحدة والدلالة."³ فلا يأتي الحدث كعنصر فني فقط، ويكون محملاً بالأفكار والمحتويات حتى لو كان الحدث خيالياً. ولا يفرض الحدث على الكاتب ترتيباً معيناً، فجنده عنصراً يتسم بالمرونة، وباستطاعة الكاتب أن يرتبه تبعاً لترتيب أفكاره لأن "التقديم الفني للحدث القصصي يتيح للروائي حرية اختيار الزمن الذي بدأ منه، فمن الممكن أن يبدأ مع بداية الحدث، أو يبدأ من الوسط، أو يتحرك بين الماضي والمستقبل، أو يبدأ من نهاية الحدث."⁴ فيسمح الحدث للكاتب بالتقديم والتأخير كما يشاء لأن "التقديم والتأخير في تقديم الحدث أمر يرجع إلى المؤلف الذي يجب أن يحكمه قانون المقدمات بعد النتائج"⁵ ذلك تبعاً لما تتطلبه طبيعة الموضوع.

إن الحدث الروائي الذي يقوم بتشكيله الروائي يحمله بواقع حقيقي، فلو كان الحدث خيالياً فلا بد أن وراءه هدف يرمي إليه الكاتب حيث "إن العالم القصصي المتخيل الذي يشكله الأديب ليس إلا موازاة رمزية لعالم حقيقي نعيشه. والقاص ليس إلا أديباً يشكل بالغة حدثاً، يوهمنا بأنه حقيقة وبالطبع فإن هذا الحدث أو عبارة أخرى الحكاية التي تقوم عليها القصة ليس مقصوداً لذاته، ولذلك يمكن القول إن الحدث عبارة عن معادل موضوعي لقضية فكرية، يريد المؤلف أن يوصلها إلينا بشكل فني."⁶ فيقدم المؤلف ما يريد عبر الحدث الروائي، ويصرح خلال الحدث بما لا يستطيع قوله صراحةً وخاصةً القضايا السياسية، هذا ما نعبر عنه بالمعادل الموضوعي والمعادل الموضوعي "هو السبيل الوحيد للتعبير عن العاطفة في شكل فني، أي يخلق مجموعة من الأشياء أو المواقف أو الأحداث تكون معادلاً أو قالباً للعواطف"⁷ وذلك لدواع كثيرة تخص الكاتب سياسية أو اجتماعية أو عقائدية غيرها. "فهو صيغة يصاغ فيها الشعور"⁸

² . سناء سلمان العبيدي: الشخصية في الفن القصصي والروائي عند سعدي المالح، ص 79

³ . جيرالد برنس: المصطلح السردى، ترجمة عابد خزاندنر، آخرون، المجلس الأعلى للثقافة، 2003م، ص 19

⁴ . عبد الله إبراهيم : لغة نجيب محفوظ في روايته خان الخليلى والحرافيش، ص 33

⁵ . علي شلش: نشأة النقد الروائي في الأدب العربي الحديث، مكتبة غريب، ص 44

⁶ . طه وادي: دراسات في نقد الرواية، ص 29

⁷ . عبد العزيز عقان علي إسماعيل: رسالة ماجستير، الغموض عند رواد الشعر المعاصر في اليمن، كلية دار العلوم، جامعة

القاهرة، 2007م ، ص 178

⁸ . إسماعيل الصيفي: قصة الأدب العربي وخطوات في نقد الشعر والمسرح والقصة، ص 300

حين يعرض الكاتب لطرح الواقع والحقائق يعرض أحداثاً مشابهة؛ لأن " الواقعية تتحقق بخلق أحداث مشابهة لما يجري في الحياة اليومية، أو بعبارة أخرى، خلق أحداث يتقبلها الواقع ولا ينكرها لنبوها عنه وكونها فوق طاقة البشر. وتتسع محاكاة الواقع والإيهام به لأن يكون العمل برمته من وحي الخيال جملةً وتفصيلاً، وأن يكون مزيجاً من الواقع والخيال، بمعنى أن الكاتب ينشئ أحداثاً وشخصيات من خياله ويضيف إليها أحداثاً وشخصيات يستمدّها من عالم الواقع لاقتضاء العمل إيها، مع شيء من التحوير أو التنقيح لها لكي تتسق مع الدور التي تؤدّيها.⁹ والفراسة في الإتيان بالأحداث الخيالية التي تعبر عن الحقائق دون تصريح متبعاً الطرق الفنية ولا بد لكاتب الرواية من أن يحسن اختيار الطريقة الفنية التي يبني عليها روايته، لأن هذا أساس نجاح العمل الفني، والطريقة الفنية أي " تشكيل الأحداث وترتيبها على نحوٍ ما، وتحديد علاقتها بالزمان والمكان والشخصية بغية تحقيق هدفه الفني الذي يهدف إليه من إبداع روايته، وهو الوصول بها إلى أقصى غاياتها الجمالية الموضوعية، وهو ما يسمى بالتكنيك الفني"¹⁰

فإذا نجح الكاتب في الإبداع الفني وفي صياغة العمل الروائي وبنائه بطريقة فنية سليمة؛ سوف ينجح في توصيل أفكاره ومعالجة وتناول قضاياها؛ ذلك لأن الحدث الروائي هو الفعل الذي يحاكي الواقع بالتضافر مع باقي عناصر الرواية؛ فالحدث " هو الفعل القصصي أو الحادثة التي تشكلها حركة الشخصيات لتقدم في النهاية تجربة إنسانية ذات دلالة معينة، أو هو الحكاية التي تصنعها الشخصيات، وتكون منها عالماً مستقلاً، له خصوصيته المتميزة."¹¹ فالحدث الروائي قد يبني عالماً يعالج ما ورد بفكر الكاتب يفصله الكاتب كما يشاء ليفصح عن فكرة معينة أو قضية بعينها، لكن يجب مراعاة بناء تلك الأحداث بطريقة فنية سليمة حيث إن " الرواية تشكيل للحياة في بناء عضوي يتفق وروح الحياة ذاتها. ويعتمد هذا التشكيل على الحدث النامي الذي يتشكل داخل إطار وجهة نظر الروائي، وذلك من خلال شخصيات متفاعلة مع الأحداث والوسط الذي تدور فيه هذه الأحداث، على نحو يجسد في النهاية صراعاً درامياً ذا حياة داخلية متفاعلة."¹² ذلك مع

⁹ . شفيق السيد، السعيد الباز: الفن القصصي والمسرحي في الأدب العربي الحديث، قراءة نقدية، 2010، ص7، 8

¹⁰ . عبد الفتاح عثمان: دراسات في النقد الحديث، ص 178

¹¹ . طه وادي: دراسات في نقد الرواية، ص28

¹² . السعيد الورقي: اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1982م،

المحافظة على حبكة فنية مركزة لتماسك العمل الفني، وإحكام الحبكة يؤدي إلى إحكام الحدث ونجاح العمل في بلورة الفكرة إن كانت فكرة أو عرض التاريخ، ويقصد بالحبكة الفنية الترابط والتماسك بين عناصر الرواية، وتدرج أحداثها تدرجاً تدريجياً " فالحبكة ليست عنصراً مستقلاً من عناصر الرواية كالحوار والزمان والمكان والشخصية أو التشخيص، ولكنها كل أولئك معاً، فهي بنائية الرواية، وثمرتها التفاعل بين تلك العناصر التي ذكرت¹³ فتعد الحبكة المركزة للحدث من أهم أسباب نجاح الحدث الروائي في التعبير عن الواقع.

كما أنه من وسائل نجاح الكاتب أن يقنعنا بحقيقة الحدث ويتأثر القارئ بشكل كبير، ذلك عبر إحكام الحبكة أيضاً، والاستعانة بشخصيات نطنها حقيقية" وتقوى الحبكة بتجميع أطرافها، وتعمق الإقناع بإنسانية الشخصيات"¹⁴ إذا ظن القارئ أن الأحداث حقيقية فيكون هذا من مظاهر نجاح الكاتب وتعبير الحدث الروائي عن الواقع، ذلك بعرض الكاتب للأحداث بطريقة فنية محافظاً على الحبكة الفنية ليستطيع بلورة الفكرة بقدر الإمكان، وعلى القارئ التأنى أمام النص لفهم الحدث ومن ثم الوصول للهدف من الرواية أو النص الأدبي حيث إن " النص الأدبي فضاء لغوياً مفتوحاً على تأويلات تتعدد بتعدد القراء."¹⁵ فيكتب المؤلف ما يخشى من قوله بشكل مباشر؛ ويفسر القارئ كما يشاء ولا سيما في تصوير أحداث التاريخ في صورة أدبية فنية وخاصة الفن الروائي حيث " تسهم الرواية بوصفها إحدى أدوات تصوير التاريخ، الأكثر تفصيلاً وصدقاً، في استجلاء ما حدث في التاريخ."¹⁶

الفن عموماً يخدم التاريخ ويحقق أغراضاً بعيدة المدى، فالرواية مثلاً عندما تعبر عن حدث معين أو قضية معينة، فهي بذلك تخدم التاريخ أو المجتمع، فليست مهمة الرواية هي التسلية أو الترفيه فقط، ولكن لا بد من وجود أحداث أو قضايا تاريخية تأثر بها الكاتب دفعته لكتابة التاريخ حيث إن " العمل الأدبي عموماً لا يبنى إلا إذا استثار انفعال الكاتب حادث ما، فعبر عن هذا الانفعال كما يجده في نفسه، ثم لا يزال هذا الانفعال يلح عليه، حتى يتجمع حوله عالم من الانفعالات والأفكار، يتمثل في شخصيات وأحداث، أمده بها

¹³ . علاء الدين سعد جاويش: ملامح الرواية عند جرجي زيدان، ص119، 120

¹⁴ . كمال علي عبد المقصود: البنية السردية عند أمين ريان، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم بالفيوم، 2005م، ص292

¹⁵ . الرشيد بو شعير: مساعلة النص الروائي في السرديات العربية الخليجية المعاصرة، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الطبعة

الأولى، 2010م، ص212

¹⁶ . جورج لوكاش: الرواية التاريخية، ترجمة صالح جواد الكاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، الطبعة الثانية، 1986،

قراءاته أو تمخض عنها خياله¹⁷ فيصيغ الكاتب ما حدث في صورة عمل فني، وأحداث التاريخ غالبًا ما تصاغ في صورة رواية تاريخية وليس إعادة لأحداث التاريخ الواقعية؛ لأن "التزام الأديب بمصداقية المادة التاريخية التزامًا دقيقًا يفقد العمل مصداقيته الفنية."¹⁸ فالكاتب يقصد الواقع في مجمله وليس تفاصيله؛ كما قال الأستاذ الدكتور حلمي مرزوق "إنما نستهدف دلالة الأحداث في جملتها وما تنم عليه من الروح التي هي المحرك الأول للتاريخ."¹⁹ فالفكرة ليست في صياغة الحدث التاريخي كما هو وإلا "يقع الروائي في براثن التاريخ وينساق خلف ما هو تاريخي فيصبح أحيانًا مؤرخًا في بعض مشاهد عمله الروائي وعمله مسردًا وثائقيًا أكثر منه إلماعًا روائيًا."²⁰ ولكن يمكن الرجوع للمصادر التاريخية والاستعانة بها داخل العمل الروائي لدعم الحدث الروائي؛ وذلك "كمصدر توثيقي فيقارن ويختار، طالما أن هذا التاريخ" والمعالجة في القصة هي قطب الدائرة، ومتى فقدت القصة عناصر المعالجة كانت سردًا للأحداث، وسياقة للأنباء، والقاص الذي يقفز من حركة إلى حركة، ومن حادث إلى حادث، ومن موقف إلى موقف، دون استخراج للبواعث، وتعليل للتصرف، أقرب شبهًا بمن يسجل أنباء موقعة يتخيل أبطالها في معترك"²¹ وهدف الرواية ليس التسجيل والرصد بل معالجة التاريخ بشكلٍ روائي.

قد يعمد الكاتب إلى الرواية التاريخية لإخراج ما كونه من صور عن أحداث تاريخية بعينها " وإذا كان كاتب الرواية التاريخية يعود إلى الماضي أو يستعيده من خلال كم هائل من الوقائع والمعلومات والتفاصيل، ومعمدًا بالأساس على رؤية تاريخية، حتى يمكن إدراجها في باب الرواية التاريخية...فإنما يفعل ذلك كله، ويتحمل هذا الجهد والعناء، لأنه أساسًا مسكون بهاجس معاصر كبير يريد التعبير عنه من خلال الرواية التاريخية"²² وذلك الهاجس هو فكرته التي كونها عن حدثٍ ما، فيعبر بكتابة رواية تاريخية؛ فيضطر إلى العودة إلى الماضي؛ ذلك ما فعله الروائيون الذين تصدوا للإفصاح عن القضية الأرمنية، يتضح ذلك من خلال المباحث الآتية

17 . محمد مصطفى هدارة: في النقد الحديث، ص30

18 . نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، ص126

19 . حلمي علي مرزوق: تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في مصر في الربع الأول من القرن العشرين، ص4

20 : نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، ص124

21 . محمود تيمور: محاضرات في القصص في أدب العرب ماضيه وحاضره، ص71

22 . نزيه أبو نضال: الرواية والتاريخ، حارسة الذاكرة رضوى عاشور، ج2، ص718

المبحث الأول: التعريف بالروايات

يتضمن المبحث الأول عرض موجز لمضمون كل رواية؛ للكشف عن طبيعة الأحداث التي تتضمنها الرواية، وسوف يتم عرض الروايات طبقاً للتسلسل التاريخي من القديم إلى الحديث على النحو الآتي

1. رواية صيد العصري

الرواية من تأليف محمد جبريل، طبعتها الأولى عام 2004م، تضمنت رواية صيد العصري الحكى عن فترة الاحتلال الانجليزي في مصر، إلى جانب تواجد الأرمن في مدينة الإسكندرية في تلك الظروف، وتحكى الرواية عن الصحفي الشاب صلاح بكر الكاتب الذي اهتم في كتاباته بمسائل السياسة في مصر، كان يعمل عند فيصل مصيلحي، كما قام صلاح بكر بسرد أحداث الرواية. عندما تعب نصحه صديقه فيصل بالذهاب إلى الطبيب الأرمني جارو فارتان للعلاج؛ فاستجاب وذهب وفي العيادة التقى بالفتاة المصرية الأرمنية نورا، وكانت تعد رسالة ماجستير موضوعها مذابح الأرمن، انطلاقاً من أسئلة نورا حول المذابح بدأ الدكتور جارو في سرد أحداث المذابح والتهجير وفراره من وطنه هروباً من الموت الذي لحق بمليون ونصف مليون أرمني، كما حكى الطبيب لها ما كانت عليه رحلات تهجير الأرمن، حكى عن مشاهد التعذيب، وقتل الأطفال، واغتصاب النساء.

توطدت العلاقات بين صلاح بكر ونورا الأرمنية وأسرتها، وخلال الزيارات إلى البيت وعبر الحوار وتطور الأحداث ظهرت صورة واضحة عن طبيعة حياة البيت الأرمني الذي أسقط المؤلف من خلاله على طبيعة بقية الشعب الأرمني، حيث النظام، والتمسك بالهوية واللغة والوفاء للوطن الأم مع الإخلاص لمصر الموطن الذي احتضنهم.

اتضح فكرة ارتباط الأرمني بوطنه وتضحيته من أجله من خلال موقف نورا التي أحبها الشاب المصري صلاح بكر، وقرر الارتباط بها بالرغم من اختلاف الدين، لكن الفتاة المصرية الأرمنية قررت الارتباط بالطبيب الأرمني العجوز حتى يمنحها فرصة العودة إلى وطنها؛ حيث إنه أرمني الأصل، أما هي فمصرية اختارت التضحية بسعادتها من أجل رؤية الوطن أرمينية مع العلم أنها مصرية ولدت بالإسكندرية وترت بها، إلى جانب موضوعات أخرى تناولها الروائي في الأحداث كالقضية الفلسطينية، والتوقف أمام فكرة الأرمن عنها إلى جانب التطرق إلى وضع الإخوان المسلمين فترة الاحتلال الإنجليزي لمصر، من خلال طرح تلك القضايا يعرض الكاتب طبيعة تعايش الأرمن مع العرب بصفة عامة ومصر بصفة خاصة.

2. رواية ميمي زهرة أرمنية البيضاء

الرواية من تأليف الكاتب عبد العزيز السماحي، صدرت الطبعة الأولى عام 2014م، عرض الكاتب لقصة الشعب الأرمني كاملة بدءًا من أسبابها مرورًا بذكر الأجواء السياسية وتطورها وتأزمها وأحداث القتل والتشريد والتهجير والمذابح، كما عرض لظروفهم الاجتماعية والاقتصادية وعلاقاتهم بالمجتمعات من حولهم والعرب والمصريين تحديدًا، وعلاقتهم بالدولة العثمانية قبل العداوة، وبعدها، وأسباب تلك العداوة وأحوالهم بعد التهجير وتكيفهم مع المجتمعات عارضًا لبعض خصالهم الأخلاقية وطباعهم . مستندًا إلى قصة البطلة الطفلة ميمي وعائلتها، حيث كانت ميمي تحيا حياة منعمة بين أهلها.

بدأت الأحداث برؤية ميمي لوالدتها في المنام تطلب منها تنظيف البراويز، فقررت ميمي أن تجدد جميع البراويز التي تحمل ذكرياتها، حيث كان والدها يعمل مصورًا، فعندما أحضرت ميمي الشاب المصري طه ليصلح البراويز؛ تعجب من عدد البراويز المعلقة على جميع حوائط الشقة؛ فبدأ يسأل؛ فكان الجواب أن حكى له قصة الشعب الأرمني وما لاقته هي وأسرتها على النحو الآتي:

كانت ميمي محبوبة من الجميع حيث كان مولدها يذكرهم برحيل السلطان الطاغي الذي قتل جدها وجدتها وعمتها. كانت علاقة أسرة ميمي علاقة طيبة بجميع الجيران من أتراك وأكراد، جعل الروائي هذه الأسرة رمزًا لكافة الشعب الأرمني.

حلم ريمون وشباب الأرمن بالاستقلال؛ فذاقوا مرارة هذا الحلم، اتحدوا مع الاتحاد والترقي وتمت خديعتهم والغدر بهم، وذاق الشباب ألوان العذاب، فبعد أن اتحد شباب الأرمن معهم لإعادة العمل بالدستور انقلب الوضع تمامًا، وبدأ تعذيب الأرمن ، وطلبوا منهم أن يتصلوا بأرمن روسيا لإثارة الفوضى في الجيش الروسي فرفض السيد جاكوب وكبار الأرمن من حزب الطاشناق هذا العرض؛ فأعدتهم السلطات خونة، من هنا بدأ صراع شخصيات الرواية مع السلطات الحاكمة.

تعرض شباب الأرمن من أمثال إلى التهديد والقتل، وتم إعداد الخطط للقتل الجماعي كاصطحاب السيد جاكوب وكبار المتقنين إلى إسطنبول وتم قتلهم جميعًا، إلى جانب نفس الخديعة التي تمت بالأهالي حيث تم استدعاء الفلاحين والتجار كالسيد نائل وكادون خال ميمي وغيرهم وتم قتلهم، أمرت السلطات الأرمن بترك مدينة فان والرحيل، فتركوا بيوتهم وحالهم وقتلوا في الصحاري والطرق.

بالنسبة لأسرة ميمي ، عذبت الأم وتم قتل الأب وتعليق رأسه، بسبب ما احتفظ به من صور. شاهدت الطفلة والدها بهذا المنظر، هربت الطفلة وفقدت والدتها ولن تعرف عنها شيئاً بعد، تاهت الطفلة في الطرقات والممرات، ذاقت ألوان العذاب أثناء الرحيل إلى أن أخذها العرب إلى ملجأ، وأخذها بعد ذلك السيد علوان لتعمل بقصره، وكان قد قام بمساعدة والدتها الهاربة وعالجها وتزوجها، فالتقت بها قدرًا عند هذا الرجل.

بالنسبة لأخيها توما قد أخذه جندي تركي إلى زوجته فأحسنته معاملته وقامت بتربيته وسموه مالك والتحق بالجيش التركي ليلتقي بأحمد رفيق الطفولة الذي قتل عن طريق الخطأ، فصعق توما وذهب بأحمد إلى والدته جارتهم التركية السيدة الفاضلة فاطمة، فقصت عليه فاطمة قصة والدته وأخته ذهب للبحث عنهم حاملاً الصور التي احتفظ بها السيد شوكت عثمان زوج السيدة فاطمة، والتقى بالعرب الذين كانوا يساندون الأرمن ومنهم الشيخ الحلبي الذي تزوج من باتيل التي التقت قدرًا بميمي وأرشدته باتيل إلى مكان أخته؛ فالتقى توما بأمه وأخته ورحلا مع مصر إلى السيد علوان، وأقام الجميع بمصر إلى أن ماتوا وتركوا ميمي وحيدة مع قطتها وألامها

عمد الكاتب إلى بطلنة الرواية لتحكي القصة بنفسها، بدأ الكاتب مستخدمًا تيار اللاوعي حيث إن ميمي امتلكت عدد من البرايز التي احتفظت بها، وهي عبارة عن صور أهلها وأحبائها الذين فقدتهم إثر المذابح والتجهير، زارتها والدتها في الحلم، وكان معنى الحلم أن تقوم بتجديد البرايز، فلجأت إلى الشاب طه ليفعل ذلك الأمر، تعجب طه من هذا العدد الهائل من البرايز، فسألها عن الأمر، وأبلغها رغبته في معرفة حكايتها فكانت الإجابة قصة الأرمن من البداية حتى لنهاية متمثلة في مأساة ميمي وعائلتها، خلال أحداث الرواية، فتضمنت الرواية أحداثاً عكست الصورة الاجتماعية للشعب الأرمني، وأحداثاً عكست الصورة الاقتصادية، وأخرى قصت الأحداث السياسية الحقيقية منها والخيالية. وقصد الكاتب عرض الحالة الاجتماعية التي كان عليها الشعب الأرمني قبل الأزمة مستعيناً بالحكي عن أسرة ميمي؛ ذلك ليوضح ما آل إليه الأرمن من سوء الأحوال، وما تعرضوا له من ظلم.

حيث قصت ميمي قصة أسرتها الصغيرة وعلاقتهم الجيدة بالجيران، والرؤساء وعلاقة تحسين باي بوالدها، حيث كان يلتقط لهم الصور في الاجتماعات، وهنا يرمي الكاتب إلى طبيعة العلاقات بين الأرمن والدولة العثمانية قديماً في عهد ذلك الحاكم، وتطرق الكاتب لمجاورة بيت ميمي لبيوت الأتراك والكرد كشوكت عثمان وعماد الدين الكردي، فكانت الجيرة حسنة والعلاقات وطيدة، حيث تلتف العائلات في الإفطار حول أكواب الشاي

والقهوة والكعك، ويلعب الصغار فرحين، ودائمًا تعقد الاجتماعات بين الجيران شوكت عثمان وعماد الدين تاجر الغزل والعم جاكوب وأصدقائه الصحفيين والمتقنين، ويشير هذا إلى الأجواء الاجتماعية التي اعتادها الأرمن وعلاقاتهم بجيرانهم بالإضافة إلى حدث ولادة ميمي والتفاف الجيران وجلب الهدايا وفرحتهم بها، فرحة المولودة وفرحة عزل السلطان، والأب يذهب إلى عمله بالاستوديو ويعود فرحًا إلى بيته يداعب أطفاله يكسب الكثير من المال، علاقاته جيدة بمن حوله من المسئولين والجيران.

حين ذكر الكاتب لقاءات العائلات الأسبوعية في حديقة بيت سيفان والد ميمي وتناولهم للطعام والشراب سويًا وسمرهم ليلاً، أراد الإشارة إلى علاقات الأرمن الحسنة وتكيفهم مع جميع فئات المجتمع، إلى جانب ذكر أحداث تعاون النساء أيام العيد في صنع الكعك، وتوزيعه على الجيران فيها ما يعكس جو التأخي والرحمة والمحبة التي كانت موجودة قبل الأزمة، كما نلمس في الأحداث طبائع الأرمن وتكيفهم ومهاراتهم كما وصفهم التاريخ.

عرض الكاتب لجو الأمان والاستقرار الذي كان يسود الأسرات الأرمنية الذي تمثله أسرة ميمي، حيث يعود الأب فرحًا، جالسًا في أمان وسط أبنائه، يلبي احتياجاتهم، هذا الحال الأيمن المستقر الذي أشار إليه الكاتب ليتضح ما فعلته الأزمة بحياة هذا الشعب على كافة المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ لأن الكاتب سوف يعرض لحياتهم بعد الأزمة حيث تضمنت الرواية أحداثًا روائية كثيرة وتفاصيل صغيرة لا علاقة لها بالتاريخ، لكن استعان بها الكاتب ليبرز أفكارًا ونقاط معينة تخدم صلب الموضوع.

فعلى سبيل المثال قصة حب ريمون ولوسين التي رفضتها والدة ميمي انطلاقًا من مبدأ الخطأ، ورفضت أن يحبها ريمون في الخفاء كاللصوص، لوسين التي تركها السيد نائل أمانة عند مريم بعدما قتلت والدتها في المذبحة الأولى، تلك أحداث روائية لها جدواها وتأثيرها على الأحداث الرئيسية، حيث كشفت الأحداث عن سمات المرأة الأرمنية الأئمنة التي تفضل الصراحة والوضوح، وتقدر الأمانة، فتحافظ عليها.

عرض الكاتب لحدث زيارة الكنيسة والدير ومدى سعادة ميمي وهي تذهب مع لوسين وتتجول داخل الكنيسة، وتتنقل بين الاستوديو وحديقة الجارة فاطمة؛ ليكشف الكاتب عن الأجواء المستقرة وسعادتهم بحياتهم وبجيرانهم، فحين يعرض للصورة المناقضة نتوقف نحن القراء أمام بشاعة المعاناة التي آل إليها الشعب الأرمني.

كما قص الكاتب فرحة ميمي بمدربستها وتفوقها، واعتزازها بأهلها وجيرانها وأحبائها؛ وهذا يرمي إلى أوضاع الشعب الأرمني قبل التعرض للهلاك، حيث إن أسرة ميمي تمثل من منظور الكاتب كافة الشعب الأرمني.

3. رواية بالأمس كنت ميناَ لرضوى الأسود

رواية بالأمس كنت ميناَ للكاتبة رضوى الأسود، تحكي الرواية عن الأرمن والكردي، صدرت طبعتها الأولى عام 2019م، تناولت الكاتبة قضية الإبادة الجماعية للأرمن موضحةً العلاقة بين الأرمن والكردي في البداية، وكيف تدهورت؟ إلى أن أصبح الكردي يد مشاركة في إبادة الأرمن، كما تطرقت الروائية إلى قضية صراع الأديان، وتمسك كل فئة أو طائفة بدينها والتناحر من أجل الدفاع عن الهوية، وأكثر ما ظهر في الرواية بوضوح صورة الشخص الأرمني على كافة المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وهذا ما يخدم موضوع الدراسة.

تضمنت الرواية أحداثاً لزمان يمتد لأكثر من قرن وربع، استعانت الكاتبة بعدد من الشخصيات لكل منهم طابع وحياء مختلفة عن الآخر وكل شخصية منهم توصل فكرة معينة قصدتها الروائية من العرض لتلك الشخصية.

بدأت الرواية بالحكي عن العلاقات بين الأرمن والكردي حيث كانت في البداية علاقات ود وتآخي، اتخذت الروائية من الأحداث الروائية إشارةً إلى الأحداث الواقعية، بدأت الرواية في مستشفى الأمراض العقلية التي آلت إليها لوسي الأرمنية بدأت بالنهاية ثم رجعت الكاتبة بالأحداث لتقص التاريخ، فحكت عن تاريخ عائلة ليلي الكردية ونمت الأحداث الروائية لتحكي اختلاط العائلات الأرمنية بالكردية كعائلة آرشاج منديكانيان وفرهد ثم العلاقات بين الأبناء آرام وسالار والعلاقة بين الأمهات الأرمن والكردي، ثم حكت انسحاب سالار بعض فترة من التعايش والأخوة لينضم إلى الفرق الحميدية وخلال هذا الحدث تحكي الروائية ما حدث بالأرمن، حيث قتل سالار نفسه في النهاية فلم يتحمل ظلم البشر.

انتقلت الروائية لحكي قصة كروان بن الكردي الذي تنصر من أجل بيروت الأرمنية، وبابازيان الذي مثل شباب الأرمن الأبطال الذي انضم إلى حزب الطاشناق، ثم انتقلت الأحداث إلى تصوير جو الاختلاط بين الأتراك والأرمن والكردي خلال مالك التركي ويلي الكردية ولوسي الأرمنية.

كشفت الأحداث عن حقائق التاريخ عبر مالك التركي الذي اكتشف حقيقة أجداده وما فعلوه بالأرمن؛ فرحل بحثاً عن الحقيقة وعندما عاد أرادت لوسي الأرمنية أن تحل إشكالية الحب فلعبت الصدفة دورها، حيث ماتت أم لوسي فقدم هاجوب ابن خالتها ليعزيها؛ فقررت

لوسي الزواج منه والرحيل معه لتترك ليلی ومالك، قتل هاجوب لأنه دافع عن قضيته وتطلع إلى الحصول على اعتراف الدول بحق القضية الأرمنية ولنفس السبب تم اختطاف لوسي ثم تعذيبها بشكلٍ غير آدمي حيث سجنّت وحرمت من الطعام والشراب وتم اغتصابها إلى أن آلت إلى مستشفى الأمراض العقلية، وقف مالك بجانبها حيث أحس بالذنب لأن أجداده هم السبب فيما حدث للوسي، وكذلك ليلی صديقتها الكردية فلن تتركها إلى أن توفيت لوسي بسرطان في المخ وهي تذكر أجدادها الأرمن، فقد ماتت على ذكراهم وهي تتخيل أن السلطان عبد الحميد الثاني قد أكرمهم.

من خلال الأحداث الروائية سردت الكاتبة حقائق التاريخ والعلاقات الأرمنية الكردية والتركية وأحداث التهجير والتعذيب مستعينةً بالشخصيات الروائية، فقصت الكاتبة الأحداث التي أودت بلوسي إلى تلك النهاية ذلك عبر إتاحة فرصة الحوار لكل شخصية من شخصيات الرواية التي ساهمت في نمو وتطور الأحداث؛ مما ساعد الكاتبة على عرض الحقائق التاريخية .

جعلت الكاتبة من حياة ليلی ولوسي ومالك وما يدور حولهما من أحداث موضوعاً للرواية حيث أبرزت أحداث القضية الأرمنية، فقد بدأت الكاتبة بداية سردية مغزاها أن لوسي وليلی ومالك هم لب الحدث من خلالهم تم عرض ما أرادت الكاتبة الإفصاح عنه حيث إن لوسي مثلت العنصر الأرمني، وليلی مثلت الكرد المسلمين، ومالك التركي كشف عن بعض مواقف الأتراك من الأرمن. فكل منهم عبر عن الطائفة التي انتمى إليها، ومن خلالهم عرضت الكاتبة لحياة الأرمن والكرد والأتراك وما حدث بالأرمن، ذلك من خلا عرض أحداث الرواية التي دارت حولهم؛ فاكتملت الصورة أمام القارئ.

4. رواية العشاء الأخير

صدرت رواية العشاء الأخير عن دار الرواق للنشر والتوزيع عام 2020م للروائي المصري ميسرة الدندراوي من مواليد القاهرة عام 1980م يعمل مهندساً في مجال صيانة وإدارة المنشآت، قسمت الرواية إلى ثلاثة فصول فالفصل الأول موعده على العشاء، الفصل الثاني حتى مطلع الفجر، و الفصل الثالث هامغ فيبرج (الانتقام للذيد).

دارت أحداث الرواية حول أزمنة مختلفة على النحو الآتي(1921م، 1962م، 1992، 2005م، 2015م)، ودارت الأحداث الروائية حول الجد هاروت الأرمني وزوجته مرال وقدمهم إلى مصر مطرودين مشردين على ظهر الحمارة من سوريا إلى مصر، وعاشوا حياة الكفاح والشقاء وباعوا كل ما لديهم، وعانوا من تركهم وطنهم (مدرس التاريخ

أصبح قهوجياً)، أنجب هاروت صوغومون ويعقوب وفتاة توأم يعقوب، وأنجب يعقوب نارين ونارية من لوسين، ورافي من زهرة، وأرتين الذي استشهد بحرب أكتوبر.

تحكي الرواية قصة كفاح العائلة وطردهم من بلادهم، واحتضان مصر لهم، عمل يعقوب والد رافي بتجارة المواد الغذائية، وحين وفاته ترك وصية لولده رافي كان مضمونها الانتقام من أحفاد من شردوهم في البلاد وذبحوهم وقتلوهم ورموا بهم في الصحاري، والبحث عن شخصية سيمون بابويان الذي وجدوه في مصر ودلهم على ست شخصيات، أصر رافي وابن أخيه وأرتين الذي يدعى ذاكار على الانتقام، أعدوا خطة محكمة للانتقام من (ليلي حسني/ عاصم خورشيد/ فوزي جميل/ بهاء سنجر/ ميريت جميل/ بدير العمدة).

دعاهم رافي على العشاء في مطعمه الذي كان أرضاً لتنفيذ الانتقام، فكانت فكرة المطعم (مطعم البيت) هذه لتنفيذ الانتقام الكامل، عزومتهم على العشاء في المطعم كان عشاؤهم الأخير لذلك سميت الرواية بالعشاء الأخير لأنهم جميعاً تم قتلهم وتعذيبهم بعد عشاء تلك الليلة، ولسبب آخر سميت الرواية بهذا العنوان لأن ذاكار أحد الشخصيات الروائية استمد فكرة المطعم من لوحة العشاء الأخير، قاموا بجمعهم على الطاولة وقتلوهم وأخذوهم فرداً فرداً، اختطف ليلي حسني ورميت في الصحراء وتم اغتصابها بآلات حديدية، وتم اختطاف ميريت وعاصم خورشيد وفوزي وبيدير وألقوا بهم في الصحراء، فأذاقوهم ألوان العذاب وغرضهم إذافتهم ما ذاقه الأرمن قديماً في الصحراء أثناء التهجير.

حار رجال الداخلية حول مرتكبي الجرائم، وفي النهاية أراد رافي بنفسه أن يعلمهم بأمر ما فعل وهو يفخر بذلك، وكان مخطط له من البداية، أرادوا إعلام العالم كله بما فعلوه بمن شردوهم وقتلوهم قديماً، الأحداث أغلبها روائية لا علاقة لها بالواقع، لكن بث الكاتب الحقائق التاريخية عبر تلك الأحداث، والشخصيات الروائية، كما رسم سمات وصور لطبيعة الأمة الأرمنية، عكستها الأحداث الروائية، من خلال الأحداث والحوار بين الشخصيات كون الروائي فكرة مكتملة حول المسألة الأرمنية بداية من مسبباتها وحتى انتقام الأحفاد في الزمن الحديث.

من تضافر الأحداث الرئيسة والفرعية واستقصاء الحقائق التاريخية استطاع الكاتب تكوين صورة ذهنية عن الأمة الأرمنية فقد نجح في مهمته كروائي وهي الإفصاح عن حقائق تاريخية كونت لنا صورة ذهنية عن أمة اختلفت الأقاويل حول ما داهمها من أحداث، حيث إن أغلب أحداث الرواية روائية لا علاقة لها بالواقع، لكن عبر شرح الأحداث الروائية وتحليلها وفهم مقصدية الكاتب تم رسم صورة كاملة عن الأمة الأرمنية وما تعرضوا له من أزمات تاريخية.

من خلال الحدث الروائي أفصح الكاتب عن سياسة الأرمن وما فعلوه من أجل الانتقام من عدوهم، عاشوا معهم، تزوجوا منهم، سارت علاقات بينهم، وتسللوا إليهم من أجل الانتقام؛ من هنا ظهرت سياسة الأرمني ودهائه في تنفيذ خطته لذا استطاعوا إقامة جمهوريتهم من جديد، في نهاية الأحداث الروائية كشف الكاتب كثيرًا عن الأرمن، وسياستهم في الانتقام وبلح على فكرة التمسك بالهوية، فالأرمني شخص يتمسك بهويته لا ينسى تاريخه وما لحق بأجداده؛ فتبين من الأحداث تأزم الأرمني لفراق أرضه، كما استطاع الروائي طرق قضايا وسمات الشعب الأرمني مستخدمًا الحكى متكّنًا على أحداث روائية خيالية وهكذا الشخصيات حيث إنه في ثنايا السرد بلور الكاتب طبيعة الشعب الأرمني مستخدمًا الشخصيات محدثًا اصطدام بينها.

النص الروائي بأحداثه الرئيسة والفرعية خيال لكن ما عكسه حقائق سجلها التاريخ بالنسبة لما يخص تاريخ المسألة الأرمنية، وطبائعهم، وما يتعلق بعلاقاتهم بوطنهم، فالأرمني يفخر بارجاعه لحقه وانتقامه لكرامة أجداده، فعرض الروائي المسألة الأرمنية الحقيقية بأسبابها وأحداثها كما عرض لطبيعة الشعب الأرمني من خلال الحدث الحدث الروائي الرئيس الذي دارت حوله أحداث الرواية الفرعية متمثلًا في عنوان الفصل "هامغ فيير" ويعني الانتقام اللذيذ، وجميع الأحداث الفرعية تضافرت وخدمت الحدث الرئيس للرواية، كما ألم الكاتب بالمسألة الأرمنية مكتملة من بدايتها لنهايتها من الأجداد إلى الأحفاد.

طرح الكاتب قضايا متعددة ترتبط بالأرمن على ساحة النص الروائي، وضح صورتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأمور خاصة بعقيدتهم، فمن الأرمن من دخل في الإسلام حبًا لأهل البلاد التي استوعبتهم بعد تشريدهم وطردهم من بلادهم، وأغلب الأحداث خيالية تعكس حقيقة ما دبر للأرمن قديمًا وبيعهم وقتلهم وتشريدهم، فاشتمل الحدث الروائي على شقي الحقيقة والخيال معًا ليعكس واقعًا، ومن خلال الأحداث التي تناولت الزمن الحديث رسم الكاتب صورة أحفاد الأرمن وطبيعة تفكيرهم، وما مثلته قضيتهم بالنسبة لهم .

لن يبتعد الكاتب عن عرض القديم في القضية فرسم أحداثًا روائية من الخيال في الزمن القديم، وقصد مس القضية قديمها وحديثها، رسم صورة للأمة الأرمنية وحدد موقفها الأوحده الذي لم يتغير مع مرور الزمن، وشجاعة الأرمني، وغيرته على أهله ووطنه، بث الكاتب الحقائق التاريخية عبر الأحداث الروائية، فهذه الكيفية استطاع الكاتب تسجيل تاريخ

المسألة الأرمنية دون تشويه للتاريخ؛ لأن الفرق بين الحقيقي والخيالي واضح؛ فالكاتب يتخذ من الروايات سبيلاً لحفظ حقائق التاريخ.

5. رواية الباشا

رواية الباشا من تأليف الكاتب سمير ذكي، صدرت طبعها الأولى عام 2020م عن جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة، تدور أحداث الرواية حول شخصية نوبار الأرمني، الذي صدر القرار بشأن تصميم تمثال له، وقرر مجموعة من الأصدقاء كتابة مذكرات عن هذا الرجل الذي يستحق التقدير من وجهة نظرهم؛ نظراً لما فعله من أجل مصلحة مصر والمصريين، ومن وجهة نظر البعض الآخر لا يستحق.

تولى أنيس وصديقه بسيوني أمر الكتاب ومن خلال تعرضهم للمعارضين للفكرة وصمودهم تناول الكاتب أموراً تخص الشعب الأرمني وأسباب المذابح ووقت المذابح وبعض أحداث الترحيل والتعذيب، كما عرض الكاتب لرؤية مختلف الأجناس للشعب الأرمني كليبب اليهودي الذي رآهم كالجراد، وأنيس المسيحي الذي رأى فيهم الشعب المظلوم وقدرهم تقديراً ووفاءً لنوبار الذي أحبه وأخلص له، وبسيوني المسلم الذي تعاطف معهم نظراً لما رآه من مشاهد أفصحت عن أحوالهم؛ هذا ما يخدم موضوع البحث من أحداث الرواية ويساعد في تكوين الفكرة عن الشعب الأرمني.

6. رواية موت منظم

من تأليف الكاتب أحمد مجدي همام، صدرت طبعها الأولى عام 2021م عن دار نوفل، تناول الروائي حال الشعب الأرمني قديماً فترة المذابح، كما تطرق لحالهم حديثاً موضعاً حال دولة أرمينية الآن بعد إفاقتها من المجازر واستعادتها لكيانها مرةً أخرى، كما أشار إلى وضعهم في البلاد العربية وتحديداً مصر، ذلك عبر الأحداث الروائية التي حملها الكاتب بالوقائع والأحداث فعبرت عن ماهية الشعب الأرمني.

اعتمد الكاتب على شخصياته لرواية الأحداث فبدأ بعبد الرحمن الصحفي المصري الذي شغل بالقضية الأرمنية وكتب عنها مقالاً صحفياً بمساعدة ماجدة الأرمنية التي احتفظت بتاريخها وعملت على نشره عبر الصحافة، والإعلام، وأساتذة التاريخ بالجامعات، كما دعت أبناء شعبها إلى الاحتفاظ بتاريخهم وفضح عدوهم. أحبت ماجدة مصر وأخلصت لها ورفضت الهجرة منها والعودة إلى وطنها.

تعرضت ماجدة لبعض الشخصيات المصرية التي كانت نموذجاً سيئاً للمصريين، حيث تم إهانتها وتعرضت للأذى من قبلهم، لكن في المقابل وجدنا عبد الرحمن الذي ساندها

ووقف جانبها إلى أن تخلصت من مضايقاتهم؛ فكان صورة المصري المساند لذلك الشعب والمدافع عن قضيتهم، زار أرمينية ووصف وضعها ومشاهد الجمال فيها الآن وعرض صور احتفالاتهم بذكرى المذابح في بلادهم، وفقد وعيه حين ماتت ماجدة في حادث انفجار الكنيسة بالقاهرة كما ورد بالرواية فقد تطرق إليه الكاتب عبر السرد ليبرز مكانة الشعب الأرمني عند الحكومات المصرية مستشهدًا بالوثائق والصحف كما ورد في متن الرواية.

ساق الكاتب نماذج من الأرمن عاشوا بمصر، لكن لن يستمروا من قبيل أرمن زوج ماجدة الذي فر تاركًا زوجته ورحل عن مصر لن يطيق البقاء بها لضيق العيش ومضايقة بعض المصريين له وإحساسه بالإهانة منهم، ارتبط أرمن بفتاة تركية من أجل الوصول لمصلحته؛ أرمن نموذج مغاير لماجدة التي صمدت بسبب حبها لمصر.

كشف الكاتب عن أحداث المذابح والتعذيب على لسان الشخصية الروائية (آرام) الذي عرض قصته موضحة أحداث ترحيلهم من سويس وطردهم من بلادهم، فقد روى ألوانًا من العذاب كضرب جدته حتى الموت، وقتل عمه بالرصاص عندما صاح حزناً عليها، وتعذيب والده بالضرب ولولا حمل الناس له لفقد حياته، وأمه التي افتقدوها، وخالته التي تعرضت للاغتصاب، وهام هو في الصحاري باحثًا عنها، وابنة عمه الطفلة التي تركوها للأتراك خوفًا عليها.

قصّ آرام مواقف العرب والکرد موضحة ما تعرض له من استغلال أحيانًا ومعاملة حسنة أحيانين أخرى أخرى؛ فكان صورة للطفل التي صنعت منه الظروف رجلاً، أنهى الكاتب الرواية بزيارة الوفد المصري إلى دولة أرمينية مشيرًا للعلاقات بين الشعبين، وأكد على طبيعة العلاقات بذكر حادث انفجار الكنيسة بالقاهرة عارضًا لموقف الحكومة المصرية والشعب المصري من الحدث.

قد أحاطت الروايات سالفه الذكر بالقضية الأرمينية، وعكس كل كاتب وجهة نظره فيها القضية من خلال الفن الروائي مراعيًا الوقائع التاريخية حيث إن "الروائي يذهب إلى المنهج التحليلي لإعادة تركيب الواقع بما ينسجم مع التخيل ومتطلبات السرد؛ بمعنى أنه

يكتب رواية تقدم أحداثاً تاريخية في قالب سردى²³ ذلك ما حدث بالروايات حيث تمت صياغة القضية التاريخية في صورة سرد روائى كما سيتضح من المباحث الآتية.

المبحث الثاني: أسباب القضية

في هذا المبحث سوف يتم تتبع أسباب القضية الأرمنية من خلال الروايات للتوصل إلى أكثر الأسباب التي أودت إلى تلك الجريمة البشرية قريباً من الحقيقة، والتعرف على الطرق الفنية التي استخدمها الكاتب في تناول الموضوع

تناول الكاتب في **صيد العصاري** أسباب الأزمة الأرمنية حيث جاء بالرواية أن من أهم أسباب الإبادة الرغبة في التخلص من الأرمن، فيقول الطبيب الأرمنى " حاولوا حل قضية الأرمن بإبادتهم."²⁴ فصرح الكاتب بالحقيقة التاريخية على لسان الشخصية، بالإضافة إلى الأسباب الآتية بالمقطع الآتى: " لجأ العثمانيون إلى الإبادة العرقية ليحققوا القومية الطورانية، قومية الأتراك. جعلوا هدفهم " قومية واحدة وجنس واحد" . كان التخلص من الأرمن ضرورة. في تقديرهم. لقيام الدولة الطورانية."²⁵ فتلقى الضباط الأتراك الأوامر، وأسندت مهمة الذبح إلى رجال الدرك والعصابات، عادت المذابح في إبريل 1915م حتى عام 1918م في جميع أركان الدولة.

ذلك لأن الدولة العثمانية أقرت بأنه" يجب أن يباد الأرمن. لقد زاد عددهم إلى درجة أصبحوا معها يمثلون خطورة على العرق التركي. الإبادة هي العلاج الوحيد."²⁶ قرروا إبادتهم وتم التنفيذ كما جاء بالرواية على النحو الآتى، استغلت الدولة العثمانية قيام الحرب العالمية الأولى في الثاني من يناير 1915م انسحب الجيش الروسي المرابط في بلدة أرومية الفارسية، وهاجر الأرمن إلى داخل فارس من تأخر في الرحيل واجه المذابح التي دبرت من قبل الأتراك والكرد التي دخلت بعد انسحاب الروس، بعد ذلك بدأوا عمليات التصفية، وأقلوا الأرمن من وظائفهم، وجردوا العسكريين من رتبهم، صادروا أموال الأرمن، واتخذوا القرار بالإبادة والتخلص من القضية الأرمنية، صدرت الأوامر بإبادة كل الذكور الأرمن من سن اثنتي عشرة سنة، حرضوا الكرد على قتل الأرمن حتى يفرقوا بين الأرمن والكرد، لن يستطيع الأرمن الدفاع عن أنفسهم إلا بوسائل بدائية ضعيفة، أقيمت المذابح

²³ .ندى أحمد مشعل: التاريخ بالسرد الروائى، رواية حبي الأول لسحر خليفة أنموذجاً، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات

الإنسانية ، 2020م، ص2.

²⁴ . محمد جبريل: صيد العصاري، ص19

²⁵ . السابق: ص19

²⁶ . السابق: ص23

الجماعية وتمت إبادة البشر وإزالة القرى. كل ما حدث للأرمن لأن الأتراك كانوا يخشون فكرة حصول الأرمن على الحكم الذاتي أو الاستقلال. لو حدث فسيفقدون أقاليم مهمة من أراضي الدولة العثمانية.²⁷ في حين أن القومية الأرمنية لم تكن موحدة ولم يحدث تنظيم يمنع عمليات الذبح.

كما كان موقع أرمنية من أهم أسباب الإبادة فجاء بالرواية المقطع الآتي " كان الموقع هو مشكلة أرمنية مثلما كان مشكلة مصر. أرمنية ملتقى الطرق التجارية والعسكرية بين أوروبا وآسيا.. ومصر ملتقى الطرق بين أوروبا وإفريقيا وآسيا.. لذلك تعددت الغزوات للبلدين منذ التاريخ القديم."²⁸ عرضوا كل ما في بيوتهم للبيع، أصبحوا لا يملكون شيئاً، عانوا الجوع والعطش، كان رد فعل الأرمن أن كونوا جماعات لاغتيال الأتراك وتدمير منشئاتهم، فهم لن يبادروا بالعداوة حيث إن الأرمن وقفوا إلى جانب تركيا في حرب البلقان. ما سبق ذكره من أسباب تاريخيه أورده الكاتب في صورة حكي على لسان الشخصيات حيث تساءلت نورا عن أسباب المذابح وكانت تعد رسالتها عن مذابح الأرمن.

أما في رواية **ميمي زهرة أرمنية البيضاء لعبد العزيز السماحي** قصت ميمي إلى طه أنها من أرمنية واستدعى تعريفها بنفسها إلى ذكر موقع أرمنية، وما تعرضت له من حروب وتقسيمات كانت سبباً في أزمتهم، أخبرته عن مدينة فان، وتضمن القص تاريخ أرمنية ووقوع أراضيها تحت الاحتلال العثماني، ثم انتقلت إلى عهد السلطان عبد الحميد الثاني، فكانوا يدفعون الضرائب دون الحصول على حقوقهم لأن الدولة العثمانية أعدتهم غرباء ومواطنين من الدرجة الثانية، ومنعواهم من الالتحاق بالجيش، فكان والدها يدفع ضرائب إضافية، وهذه السياسة ذكرتها مؤلفات التاريخ.

وبينما الأسرة والجيران في حالة فرح بمولود جديد، يسوء وضعهم في الدولة، وساد الحنق بين الطوائف، وقامت حركة تركيا الفتاة التي انبثقت منها جمعية الاتحاد والترقي، دعت إلى إسقاط الخليفة، وإقامة دستور يدمج الأقليات .

بعد ذلك تبدلت الأحوال تقهقر الأتراك وتقدم الروس، انتشر الجواثيث بين الأرمن والفتنة التي راح ضحيتها ريمون وكما رأينا كان مظلوماً حيث رفض الفرار إلى الروس، وريمون

27 . محمد جبريل: صيد العصاري، ص22

28 . السابق: ص50

شخصية روائية لكن هذه القصة مثلت حقائق بالنسبة لغيره، فالكثير من شباب الأرمن قتلوا ظلماً.

أورد الكاتب حدث أوامر جودت بك بدك المدينة الأمر الذي أودى إلى انفجار كل ما بالمدينة، احترقت البيوت وهرب السكان، وقاوم شباب الأرمن ما يحدث لهم بقدر استطاعتهم؛ فكتب ريمون البيان الذي يؤكد به أن القتال بين الأرمن وجنود الوالي ولا دخل للجيران والأصدقاء يؤكد معلومة أن العداء سببه السلطات ولا ذنب للأهالي الأتراك، حيث كان منهم من ساعد الأرمن ويمثلهم بالرواية الضابط التركي شقيق فاطمة، حيث إنه قام بتهريب ميمي ووالدتها من فان، إلى جانب عائشة وفاطمة فقد اشتركا مع والدة ميمي في إعداد الطعام للجرحى والمصابين.

فجأة دخل الروس المدينة فتغيرت الأوضاع، وحكم الأرمن المدينة، وانضم بعض شباب الأرمن إلى الجيش الروسي، ثم انعكس الوضع مرةً أخرى، ترك الجيش الروسي المدينة للأتراك. إلى جانب أنهم بدأوا يقومون بتهديد الجيران الأتراك الذين يساعونهم كالسيد شوكت عثمان، فيأمره بالبعد عنهم ووسمهم بالأنجاس الخونة.

وفي عام 1908م اندلعت الثورة واشتعلت الدولة العثمانية، وفي البداية تعاون الجميع لإقالة السلطان وفرض الدستور الجديد، قص الكاتب تلك الأحداث التاريخية الحقيقية على لسان البطلة سافر ريمون مع شباب الأرمن والأتراك لباريس لحضور أول اجتماع لتأسيس جمعية الاتحاد والترقي، فاستدعى الشاعر شخصية ريمون ليبيت خلالها المعلومة، وخطط الشباب لإحراز أول هدف للجمعية وهو عزل السلطان وإعادة العمل بالدستور، وبدأ شباب الأرمن بصحبة الأتراك يضعون الخطط.

عبر لقاء الشخصيات (شوكت عثمان، السيد عماد الدين، ريمون) واجتماعاتهم تطرق الكاتب إلى ذكر الاتفاقات التي تمت بين جمعية الاتحاد والترقي الثورية وشباب الأرمن بشأن التحالف ضد السلطان، من أجل تحقيق حلم عزل السلطان امتلأت الشوارع بالمسيرات لتندد بالسلطان إلى أن تم عزل السلطان في إسطنبول، بث الكاتب تلك الوقائع التاريخية وسط الأحداث الروائية البعيدة عن الحقائق، فوالدة ميمي تقف في الشرفة وتقذف للنوار الحلوى، هذا حدث من خيال الروائي لكن الهدف المقصود بيان فرحة الناس بعزل السلطان، والتحق ريمون بالجيش التركي ذلك ليعلم الكاتب بأمر إعادة تجنيد الأرمن بعد استبعادهم لسنوات طويلة. واستمر النضال حتى تم وضع الدستور الجديد، ووعدت جمعية الاتحاد والترقي الشباب الأرمن بالحصول على حقوقهم.

دائمًا ما يعقد الكاتب اجتماعات بين الشخصيات تسفر عن معلومات وحقائق تاريخية فارقة، عمت الفرحة شخصيات الرواية لحسن المعاملة بعد إعادة العمل بالدستور، ولكن لن يستمر الوضع كثيرًا، حيث مر الجنود الأتراك على والد ميمي وفرضوا عليه الضرائب وقاموا بتهديده فقبل الرجل متذكرًا ما حل بوالده وأخته سارة من تعذيب واغتصاب، هذا الحدث روائي لكنه يشير إلى أحداث وردت بصفحات التاريخ.

اجتمع الجيران والأصدقاء لحضور حفل خطبة ريمون ولوسين، فاتخذه الكاتب سبيلًا لعرض حقائق التاريخ حيث أوكل السرد إلى جاكوب ليشير إلى حلم الأرمن في الاستقلال، ويصرح بعبادة الأتراك وغيرتهم من الأرمن بسبب تفوقهم في المجالات التي لم يفقه الأتراك عنها شيء، ورغبتهم في التقليل من شأن الأرمن.

من الكرد من أخلصوا لصحبة الأرمن كالسيد عماد الكردي الشخصية الروائية الموجودة بالرواية الذي مثل حسن المعاملة، واحترام الأخوة، والجيرة، ومنهم من وبخوهم وأحطوا من شأنهم، وشاركوا في قتلهم في الفرق الحميدية، وأوشوا بهم ويمثلهم في الرواية مصطفى الكردي، حيث ضرب توما ولد السيد سيفان "واصفًا إياه بابن الكفار الذين ملأوا المدينة نجاسة وكفرًا"²⁹ وتوعد بطرد الأرمن من البلاد. هذا الشخص يمثل نظرة بعض الكرد وموقفهم الغير آدمي من الشعب الأرمني، وعماد الدين الطرف الآخر للمقابلة يثور لهذا الحدث مطالبًا بحق الطفل الأرمني قائلاً "والله إن ما فعله هذا الرجل لعار علينا جميعًا نحن الكرد والمسلمون في هذه المدينة"³⁰

اجتمع السيد جاكوب مع العديد من المثقفين والفنانين والمناضلين واتفقوا على لقاء قادة الاتحاد والترقي وذهب الجميع مطالبين بحقهم في الاستقلال حيث إنهم من أقدم الممالك على أرض أرمينية، وعبر هذا الحدث ساق الكاتب ما قدمه الأرمن للأتراك الفلاح والجندي والصانع.

أما بالنسبة لحدث إخبار السيد شوكت السيد سيفان باتخاذ الحذر وغلق الاستوديو والاستعداد لأيام عجاف، فقد أراد الكاتب من هذا الحدث الروائي طرح حال الأرمن وما تعرضوا له في البداية، كما أشار إلى فئة الأتراك التي كانت تساند الأرمن حيث إن الجيران من الأتراك لن يصدر منهم ما ينم عن العداوة والحرب، لكن بالنسبة للحكومات اختلف

29 . عبد العزيز السماحي: ميمي زهرة أرمينية البيضاء، ص93

30 . السابق: ص93، 94

الأمر، حيث اندلعت الحرب العالمية الأولى، وعلى لسان ميمي يحكي الكاتب الأحداث الحقيقية فاشتركت تركيا في الحرب واشتبكت مع الروس في منطقة القوقاز .

جاء الكاتب بالحدث الروائي حيث قدم إلى المدينة ثلاثة من ضباط الاتحاد والترقي واجتمعوا مع السيد جاكوب وبعض كبار المدينة حيث طلب منهم الضابط التركي الانضمام لإخوانهم الأرمن ليشعلوا الثورة في الجيش الروسي وتشتيت جيشهم، رفض الأرمن الطلب أعد الأتراك ذلك خيانة وأثر هذا الحدث تم تعيين جودت بك حاكمًا للمدينة بدلاً من تحسين باي، واشتعلت مدينة فان بالقذائف، مما دفع بعض شباب الأرمن للرغبة في الانضمام للجيش الروسي، أتى الكاتب بهذه المعلومة عبر حوار ريمون مع أصدقائه بخصوص هذه المسألة، ما سبق من أولى مسببات مذابح الأرمن.

أما في رواية **بالأمس كنت ميتاً** حرصت الكاتبة على التسلسل المنطقي للأحداث، فلن نتطرق إلى الإبادة الأرمنية دون ذكر البدايات والتمهيد فقد وضحت العلاقات بين الأرمن والكردي في البداية ثم تطرقت إلى تدهور العلاقات بينهما مما أودى بهم إلى المشاركة في قتل الأرمن ففي البداية نجد سالار الكردي يقول "نحن أقوى من أن يفرقنا شيء .. حتى لو كان الدين. فقط بابازيان هو من شذ عن قاعدة الحب التي جمعتنا."³¹ هنا أشارت الكاتبة إلى بداية تراجع العلاقات بين الفئتين بسبب التدخل التركي، كما أشارت الكاتبة عبر الحدث الروائي لبدايات الأزمة حيث باع الأرمني مزرعته استعداداً وتوقعاً للهجرة، كما أشارت إلى الحروب بين العثمانيين والروس التي كانت من مسببات مذابح الأرمن مستعينةً في ذلك بالشخصية الروائية حيث يقول سالار "كانت أمي وعمتي مريم تقفان عند عتبات المنزلين تتضرعان إلى الله بالدعاء والصلوات ليزيد في أمد السلم بين العثمانيين والروس."³² فالظروف السياسية وتدهور العلاقات بين العثمانيين والروس أودت إلى اتهام الأرمن بخيانة الجيش التركي ومساندة الروس وكان ذلك من الأسباب الرئيسة في إبادة الأرمن. فبدأوا بإعدام من ثبت أنه اتحد مع روسيا.

عبر الحدث الروائي تعرض الكاتبة صورة النظرة إلى الشعب الأرمني تلك النظرة التي دفعت إلى ذبح ذلك الشعب حيث ذهب سالار الكردي إلى المسجد في خطبة الجمعة فجاء في الخطبة الآتي "إن المؤامرات لا تتفك تترصد بسطان المسلمين وبنا نحن الكردي، يريد

³¹. السابق: ص31

³². رضوى الأسود: بالأمس كنت ميتاً، ص38

الأرمن انتزاع أرضنا بالقوة.³³ اعتزل سالار المسجد مع بداية تليفيق التهم للأرمن، وموقف بعض الكرد حيث رسمت الكاتبة صورة الاتحاد بين الأرمن والكرد في البداية ومشاركتهم في الثورات، اتضح ذلك على لسان الأرمني آرام حيث يقول "تشاركنا دومًا النضال ضد الأتراك العثمانيين.. عدونا الواضح والوحيد."³⁴ بالرغم من ذلك نجد في التاريخ من يقول بمشاركة الكرد في تعذيب الأرمن حيث تكونت منهم الفرق الحميدية.

"حقد الكرد كمواطنين مسلمين، على تلك الفئة غير المسلمة والتي حظت بما لم يتمتع به أحد الرعايا، كان عظيمًا، بالإضافة لتخوفهم من أن تستولي تلك الفئة على أراضيهم، فنشأت بينهما الكراهية التي غذاها شيوخهم في المساجد."³⁵ شعر الشعب الأرمني بالأزمة قبل وقوعها حيث يقول آرام الأرمني "أشعر أن ميعاد رحيلنا عنها قد بدأ يحين."³⁶ فقد أفصحت الروائية عن خط سير الأزمة من البداية وسوء العلاقات والحقائق التاريخية مستخدمة شخصيات وقصص خيالية.

أفصحت الكاتبة عن تخلي الدول الأجنبية عن الشعب الأرمني، ومأساتهم مع السلطان عبد الحميد الثاني كاشفةً عن أحداث مؤتمر برلين، وانتماء بعض شباب الأرمن إلى حزب الهنشاق الماركسي الثوري، تأكيدًا على تلك الأحداث يقول آرام "حتى روسيا التي تتشدد بحمايتنا كمسيحيين، تتركنا نهبًا لعبد الحميد الثاني."³⁷

في عرض أحداث مؤتمر برلين يقول آرام "في مؤتمر برلين 1878م طالب الأوروبيون الدولة العثمانية بحماية الأرمن من اضطهاد الجركس والكرد."³⁸ وأفصحت الكاتبة عن نظرة العثمانيين للأرمن قائلًا على لسان آرام "العثمانيون يعتبروننا طائفة مثل اليهود."³⁹ كما عرضت لتمسك الأرمني بهويته وهذا السبب من أهم أسباب أزمة الأرمن، ذلك على النحو الآتي: "أي حديث عن الاندماج والذوبان في الامبراطورية محض خيال وسذاجة،

33. السابق: ص 55

34. السابق: ص 57

35. السابق: ص 184

36. السابق: ص 57

37. رضوى الأسود: بالأمس كنت ميتًا، ص 58

38. السابق: ص 58

39. السابق: ص 58، 59

فلا وطن سوى الأمة الأرمنية، ولا انتماء سوى لأرمنية الكبرى.⁴⁰ تلك بعض مسببات مذابح الأرمن كما وردت بالجزء الخاص بالتاريخ.

طرحت الكاتبة معاهدة سان ستيفانو 1878 عبر الحوار بين بابازيان وآرام، وكشفت عن رد فعل الأرمن على قوة الضغط عليهم على لسان بابازيان حيث يقول "سنثور ونشأر ومنتصر في النهاية... مهما كان الثمن الذي سندفعه."⁴¹ تناولت الروائية تدهور العلاقات بين الأرمن والکرد بعد ذلك، وبداية الاشتراك في قتل الأرمن حيث يقول بابازيان "ولم تعد العلاقات بيننا وبين الكرد كما السابق."⁴² كشفت الكاتبة عن بداية التخلص من المسيحيين، ورد فعل الأرمن ودعمهم حزب الطاشناق، والهشاق بأعداد متزايدة للدفاع عن أنفسهم، سردت الكاتبة أغلب الأحداث الحقيقية في صورة أحداث وشخصيات روائية لا وجود لها على أرض الواقع.

تتطور الأحداث الروائية لعرض بداية التحالف الفعلي للأكراد مع العثمانيين ضد الأرمن بعد كل ما حققه الأرمن للإمبراطورية العثمانية فيقول آرام عن الفرق الحميدية "يتكون أغلبها من الكرد، يبدو أن الوقت قد حان كي ندفع ثمن كل الانجازات العظيمة التي حققناها للإمبراطورية العثمانية ولأنفسنا."⁴³ أفصحت الكاتبة أن البداية الحقيقية للأزمة الأرمنية كانت في بداية القرن الثامن عشر ذاكراً الحركة الطورانية، التي أرادت تترك الأرمن، وهذا ذكر حقيقة في التاريخ نظراً لعدم انصهارهم في المجتمعات لأنهم يحافظون على هويتهم، اتضح ذلك من المقطع الآتي: "فاتضح للكافة مدى الكراهية التي يكنها الطورانيون لنا نحن الأعراق المغايرة، التي لم تستطع الانصهار في البوتقة العثمانية"⁴⁴ كما طرحت الكاتبة على لسان سالار بداية أزمة الأرمن على النحو الآتي "لقد قرر العثمانيون محو الأعراق كافة من الوجود على الخريطة العثمانية."⁴⁵

في سياق الحكى عن كروان وبيروز تتضح أسباب الأزمة ومن تسببوا في وقوعها على لسان كروان وهو يتحدث عن بيروز "أكبر أنا، وتكبر هي، وتكبر مشاعر قد غرست غرساً في الروح وتحت الجلد، وتكبر وتشتعل أيضاً كراهية العثمانيين ومواليهم من الكرد تجاه

40. السابق: ص 59

41. السابق: ص 59

42. السابق: ص 59

43. السابق: ص 63

44. رضوى الأسود: بالأمس كنت ميثاً، ص 64

45. السابق: ص 65

الأرمن.⁴⁶ حيث إن أغلب الكرد تحولوا إلى قتلّة الأرمن ومن أسباب مذابحهم " الكرد أصبحوا سلخانة الأرمن، جزاريهم، إما بأيديهم أو بفتاوى شيوخهم."⁴⁷

كما أوردت الكاتبة أنه من أسباب مذابح الأرمن الدفاع عن الدين، وكشفت عن السبب الرئيس بشكلٍ صريح كما بالمقطع الآتي: " دفعت تلك القوميات ثمنًا غالبًا لتمسكها بهويتها كرد فعل طبيعي لمحاولات التتريك العنيفة والمستمرة لدمجها في البوتقة العثمانية، وجاءت الحرب لتكون زريعة وستارًا للتخلص من هذا الورم الذي تكون في جسد رجل مريض منذ أزمان ينزاع نزاعه الأخير ويتشبث بالدنيا في حلاوة روح نادرة.. ولو على حساب ملايين الأنفس."⁴⁸ كان ذلك من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى الإبادة مما طابق أحداث التاريخ، حيث صرحت الكاتبة بأن من أسباب الإبادة التعاون مع روسيا.

من الكرد فئة أقرت بظلمهم للشعب الأرمني، اتضح ذلك عبر شخصية سالار، فبعد قتله لنفسه كتب ورقة مكتوب فيها " قتلت نفسي لأنني بت لا أستطيع التعرف إليها، تخلصت منها كما تخلصت من أبرياء، لم يجنوا شيئاً سوى أنهم كانوا أفراداً في إمبراطورية تشتهي الدماء."⁴⁹ بذلك تم الاعتراف من قبل مرتكبي الجرائم وتبرئة الشعب الأرمني، ذلك ما تبين خلال الحدث الروائي.

حددت الروائية بداية القضية الأرمنية على لسان لوسي الأرمنية من خلال الحدث الروائي فتقول لوسي " لترسم نهايتي مسجاة فوق فراش الموت في غرفة داخل المستشفى. لا ما حدث لم يبدأ منذ ظهور مالك..لقد بدأ منذ نهايات القرن التاسع عشر. حملت حملاً ثقيلًا.... يفرض علينا كل شيء، بدءًا بالولوج إلى الحياة، ونهاية بمغادرتها بالموت، وما بينهما من سلسلة طويلة من الجبر على الأب، والأم، والدين، والاسم، والمدرسة، وصدف الحياة الملغزة والمفخخة."⁵⁰

كما أرخت لبداية المذابح في أحداث الحاضر مستخدمةً الاسترجاع لتحديد توقيت المذابح على لسان لوسي حيث تقول " هنا في الكنيسة المعلقة تزوج والد جدي الكردي بأم جدي الأرمنية. كان ذلك عام 1915م، مباشرةً بعد مجازر العثمانيين للأرمن، وبعد أن

46. السابق: ص 82

47. السابق: ص 82

48. السابق: ص 86

49. السابق: ص 100

50. رضوى الأسود: بالأمس كنت ميتاً، ص 138

استطاعوا الفرار بأعجوبة.⁵¹ في المقطع السابق أعلمت الكاتبة بتوقيت المذابح بالربط بينه وبين حدث زواج الأجداد عبر خاصية الاسترجاع.

حاول البعض تشويه الحقائق لإدانة الأرمن فتناولت الكاتبة تلك الأمور من خلال الحدث الروائي، وشخصية مالك التركي الذي تطلع إلى البحث جيداً في تاريخ جده طلعت باشا الذي أبهره والده بالحديث عنه فكان فخوراً به في بداية الأمر إلى أن حكمت له لوسي قصة الشعب الأرمني بدأ يبحث عن الحقيقة، حيث اطلع مالك على مذكرات تخص والده والنتيجة أنه "أحس في حروف ما قرأه تباينات، شعر أن ما يقرأه هو عملية إخفاء وليس مكاشفة، عملية طمس وليس اعترافاً، طوى الصفحة وأغلق المذكرات على روائح ومشاهد وأصوات ظل يشمها ويشاهدها ويسمعها طوال عملية القراءة."⁵² ما قرأه مالك تضمن أن الأرمن هم البادئون، وما حدث لهم من تهجير كان لا بد منه لأنهم تحالفوا مع الروس عدو العثمانيين.

حرصت الروائية على عدم تصديق مالك لما قرأه لتتدخل هي بسرد حقائق التاريخ التي تسببت في المذابح؛ فحقائق التاريخ تؤكد أن ما حدث كان إدعاءً على الأرمن بالخيانة، والتهجير لم يكن سلمياً، ذكرت الكاتبة الحقائق في صورة قراءات مالك في المكتبات على النحو الآتي "يقول سكرتير السفارة النمساوية في مذكراته أن العصابات البربرية التي فتكت بالأرمن وسلبت ونهبت منازلهم ما كاوا يشكلون عصابات إجرامية من أناس متعصبين كما ادعت الحكومة، بل كانت تبدو عليهم صفة التنظيم الخاصة المعروفة لدى أجهزة السلطة."⁵³ أفصحت الكاتبة عن إبراز الحقائق التاريخية كموقف الصحافة العالمية والكتاب المأجورين لتبرئة زمة الأتراك يتضح ذلك من المقاطع الآتية" تم تسخير الصحافة العالمية والكتاب المأجورين لتبرئة زمة الأتراك."⁵⁴ كما وضحت الكاتبة تفاصيل الأزمة عبر إدخال الأحداث الحقيقية في الأحداث الروائية على النحو الآتي "كان طلعت باشا وزير الداخلية المسئول الأول عن جرائم إبادة الأرمن. اعتقل جميع الزعماء الوطنيين والكتاب الصحفيين ورجال الدين ونفيهم إلى أماكن مجهولة، وكانت هذه صافرة البدء لسلسلة المذابح التي قام بها العثمانيون."⁵⁵ فقد عزموا على نهاية الشعب الأرمني دون أسباب واضحة وكانوا

51. السابق: ص172

52. رضوى الأسود: السابق ص186

53. رضوى الأسود: بالأمس كنت ميتاً، ص187

54. السابق: ص187

55. السابق: ص187

يقصدون تذيبهم كما جاء بشكل صريح بالرواية كالاتي " ينبغي وضع نهاية للأرمن، لا تلقوا بالأبائي صورة للعمر والأطفال والرجال والنساء."⁵⁶

أفصحت الأحداث الروائية عن تفاصيل القضية الأرمنية كاملةً، فأسقطت الكاتبة على الأحداث في القدم من واقع التاريخ، كذلك وضحت موقف الأجيال الحالية على لسان لوسي حيث تقول " هنا كانت الضحية هي المنتصرة، ظلت بقعة الدم ساخنة لزجة، تتمدد وتتسع رقعتها شيئاً فشيئاً على ملابس الجلاد ، ظلت الهياكل العظمية تجري وراء قانليها، كانت خفتها تمكنها من الركض الطويل والحقاق بالقتلة ليموتوا رعباً قبل أن يموتوا تعباً، أما عن الأحفاد فيكفيهم العار الذي وصموا به، والذي سوف يلاحقهم حتى آخر نفس، ليورثوه لمن بعدهم... وهكذا سلسال دم يخلف سلسال عار."⁵⁷ من المقاطع السالفة الذكر اتضحت مسببات القضية الأرمنية من وجهة نظر الروائية.

في رواية **العشاء الأخير** أورد الكاتب أيضاً أسباب المذابح حيث تناول أسباب الأزمة من خلال الحدث الروائي؛ فباستخدام تقنية الحوار بين رافي وبهاء سنجر تم تبادل الحوار بخصوص قضية الأرمن فيقول بهاء " أنت عارف كويس إن أنا ما عنديش مشكلة مع كل اللي إنت بتقوله بس إنت كمان عارف إنكم ما كنتوش ملايكة أوي كده يا رافي. وإيه في اللي إحنا عملناه في الفترة دي يستدعي إنهم يتصرفوا معنا كده.

تقدر تنكر إن حصل تعاون ما بين زعماء العائلات وما بين الروس، حط نفسك مكاني أنا كقائد تركي لقيت ناس أنا معتبرهم حلفائي بيسربوا أسراري للروس، أعمل معاهم إيه أنا."⁵⁸ فالحدث السابق أفصح عن السبب الرئيس لبداية المسألة الأرمنية، استكمل الكاتب في عرض الحدث باستخدام تقنية الحوار لبيان سبب الأزمة حيث يقول بهاء سنجر " لما اكتشف إن عرق معين أو طائفة معينة كان ليها يد في أكبر هزيمة عسكرية حصلتل في تاريخي الحديث وإنهم ساعدوا عدوي سواءً بشكل مباشر أو غير مباشر، وإنهم كمان بيخططوا لانقلاب علي علشان يدمروا الدولة بالكامل."⁵⁹ في النص إفصح عن سبب مذابح الأرمن حيث إن الأتراك ومثلهم بهاء سنجر يرون أن أرمن روسيا هم سبب هزيمتهم لأنهم تحالفوا مع الروس. فعرض الكاتب لسبب المذابح.

⁵⁶. السابق: ص 187

⁵⁷. السابق: ص 272

⁵⁸. ميسرة الدندراوي: العشاء الأخير، ص 156

⁵⁹. السابق: ص 162

من خلال الحدث أيضًا يوضح موقف الأرمن على لسان رافي فيقول: " ده كلام الاتحاد والترقي يا صديقي، لكن على أرض الواقع إلي حصل كان محاولة إنك ترمي إخفاك وفشلك على مجموعة مدنيين عزل كل مشكلتهم إنهم مختلفين معاك في الدين أو في العرق، رمي بلا يعني زي ما بيسموها.⁶⁰ فعبّر الحدث الروائي عرض الكاتب للآراء حول أسباب المسألة الأرمنية.

على لسان شخصية سيمون بابويان تناول الكاتب بداية المسألة، وأسبابها، وأحداثها، والذين تسببوا في تطور الأمور إلى أن بلغت للمذابح حيث أعلم بميلاد جمعية الاتحاد والترقي عام 1906م؛ للمطالبة بدستور حر وإقالة السلطان العثماني حتى وصلوا إلى الحكم عام 1908م، ثم تحولوا إلى عباد كراسي وطمعوا في السلطة؛ فاستعانوا بالعسكر وبالعصابات المرتزقة ودبروا ما حدث عام 1913م حيث خلعوا السلطان وسيطروا على الدولة العثمانية.

صنع أنور باشا جهازًا سرّيًا شارك أعضاؤه في الفظائع التي ارتكبت، وعبر عرض فيلم وثائقي يشاهده توفيق عن أزمة الأرمن يستكمل الكاتب عرض القضية حيث إنه في عام 1915م، تصاعدت حدة الخلافات بين الحكام والأرمن "فعاد أنور باشا إلى إسطنبول، حتى بدأ في استخدام مشايخ الدولة، وأعلن الحرب على المسيحيين الكفار في البلقان وأرمينية والأناضول"⁶¹ أمر بتسريح الجنود الأرمن من الجيش التركي؛ والسبب أن الأرمن بطبعهم ميالون ناحية الروس وأنه لا يسمح بوجود الخونة في الجيش التركي؛ هذا هو سبب المذابح في رأيه، ومما يؤكد هذا الاعتقاد النص الآتي " في ست أحفاد موجودين هنا في مصر، وعاشين حوالينا، بيجري جوه عروقهم دم الستة المختارين، وتخيل إن أغلبهم مؤمنين تمامًا إن إلي حصل ده كان ضروري ولازم لتأمين جبهة الإمبراطورية في حرب مهمة وإن الأرمن هم اللي بدأوا لأنهم تحالفوا مع الروس وكانوا سبب رئيس في خسارة جيهاات قتالية مهمة، بدمتك ده كلام بيرر جريمة زي دي، وكله بقى اتغلف بصبغة المعركة الدينية العظيمة، الأرمن المسيحيين الكفرة أعلنوا الحرب على الإسلام، يبقى كان لازم يبادوا كلهم، وكأنهم اختزلوا إلي حصل بس في إنه معركة دينية."⁶² حمل الكاتب النص السابق حقائق تاريخية داخل الحدث الروائي حيث خطط مجموعة من الأرمن إلى

⁶⁰. السابق: ص 162

⁶¹. مسيرة الدندراوي: العشاء الأخير، ص 255

⁶². السابق: ص 319

الانتقام من مجموعة أتراك وهذا خيال روائي مبررًا حقيقة تاريخية وهي اعتقاد تلك الفئة من الأتراك أن الأرمن تحالفوا مع الروس لذلك أبادوهم وقتلوهم وشردوهم وطردوهم من بلادهم، فطالبت الحكومة التركية الشعب التركي بالجهاد ضد الخونة المرتزقة من الأرمن، وتكونت التنظيمات السرية للتنفيذ كتنظيم أنور باشا الذي شكله من الطلاب والمزارعين والجنود. أفصح الكاتب عن الذين تسببوا في حدوث المذابح عبر شخصية توفيق حيث كشفت الشخصية عن أن أعضاء التنظيم السري هم الذين تسببوا في عمليات الإبادة الجماعية، والمذابح التي تم ارتكابها في المواطنين الذين لا يمتلكون ما يدافعون به عن أنفسهم.

في رواية **الباشا** نجد عرضًا لأسباب وقوع المذابح حيث وضح الكاتب عبر السرد أن سبب مذابح الأرمن الحلم بالحرية حيث يسرد الأسباب قائلاً " هذا المخبول فقد كل إحساس بالآدمية عندما سمح بأن تدشن أراضيهِ العثمانية بدماء أرمنية بريئة كان كل ذنبها أنها حلمت بالحرية." ⁶³ مما تسبب في ظهور الشائعات التي هاج على إثرها السلطان عبد الحميد على الأرمن دون سبب مقنع. حيث طمح الأرمن إلى الاستقلال التام.

في موضع آخر من الرواية يؤكد الكاتب على أن المطالبة بالحرية والاستقلال كانت السبب البارز للمذابح كما في المقطع الآتي " لا ينكر أن الأرمن تخطو هذا الخط طالبين الحرية والاستقلال الذي تمنوا يومًا ما أن يحصلوا على بعضٍ منه وليس كله ولكن ماذا حدث للأرمن؟ أنهار دماء أغرقت السلطنة العثمانية... إلخ." ⁶⁴

وبالرغم من ذكر الكاتب لأسباب المذابح فقد عمم الكاتب الرأي في المقطع الآتي " الأسباب حتى الآن مجهولة لكثيرين حول قيام تلك المذابح الوحشية المنظمة للإبادة، أقل مجزرة راح ضحيتها الآلاف، إبادة قرى بأكملها، نزح من تبقى من الأرمن إلى مصر بداية منذ عام 1896م. ⁶⁵ وما سبق ذكره من مسببات للإبادة جاءت في صورة آراء للشخصيات الروائية.

وبالنسبة لسرد أسباب المذابح في رواية **موت منظم** تناول المؤلف رواية حدث مذبحة الأرمن بشكل عام ولن يتطرق إلى تفاصيل في بداية الرواية، فأشار إلى الحدث أولاً عندما جعل أم سيد المصرية تقوم بإعطاء ماجدة فطائر الكرواسون فأرادت أم سيد التلميح

⁶³. سمير ذكي: الباشا، ص6

⁶⁴. سمير ذكي: الباشا، ص179

⁶⁵. السابق: ص 107، 108

للمذبحة التي ارتكبتها العثمانيون في أسلاف ماجدة، ذلك للتشابه بين الكرواسون وهلال الدولة العثمانية ذلك للسخرية من الأرمن.

كما أشار الكاتب أيضًا إلى الحدث دون تعمق من خلال عبد الرحمن الصحفي، حيث ذكر عبد الرحمن أن الأتراك قاموا بقتل الشعب الأرمني، ووقعت المذبحة الكبرى حينما كانوا يعيشون في الأناضول عام 1915 م .

في موضع آخر يعلمنا الكاتب بتاريخ المذابح دون ذكر تفاصيل قائلًا على لسان عبد الرحمن " كان في مذابح للأسف في 1894م ومذابح أكبر في 1915م."⁶⁶ فلم يذكر الكاتب تفاصيل المذابح فأشار فقط إليها، وإلى من أمروا بارتكابها، وأخبر بنهايتهم، حيث حكم بالإعدام الغيابي على جمال باشا وأنور باشا وفر طلعت باشا إلى ألمانيا، ولن يستقيض الكاتب في أحداث المذابح ولم يرسم مشاهدًا لتعبر عنها.

المبحث الثالث: وقائع ترحيل الأرمن

في هذا المبحث سوف يتم عرض مسألة ترحيل الأرمن، وطردهم من بلادهم، والأسباب التي أدت إلى ذلك، وموقف الحكام العرب من الأرمن المرشحين ذلك مقارنةً لما ورد بالتاريخ حيث إنه " لا يمكن للخطاب الروائي أن يصبح تاريخًا، وإذا ما استحضرت الرواية أحداث التاريخ أو شخصياته أو علاقاته، فإنها لن تكون سردًا حقيقيًا للتاريخ. وإنما سرد جمالي يطعمه البيان ويرافده الخيال."⁶⁷ لذلك يتطلب المقارنة بالتاريخ للوقوف على الحقائق، وذلك عبر تتبع أحداث الطرد والترحيل داخل الروايات نماذج الدراسة.

في رواية **صيد العساري** ذكر الطبيب الأرمني العجوز عبر الاسترجاع رحلات التهجير من رصاص انهال عليهم في الصحاري، وتعرضهم لقطاع الطرق، أطفال يكون، أمهات تلقي بأطفالها على الأرض، يجرون في طوابير حفاة الأقدام يسوقهم جنود الأتراك، مبتورو الأرجل، جثث متفحمة محروقة في الشمس، مع انتشار المقابر الجماعية.

جاء بالرواية أن المهاجرين من الأرمن أكثر من مائة ألف، هاجروا إلى البلاد العربية وروسيا والبلقان وأوروبا وأمريكا تم طردهم بشكل إجباري من بلادهم، رحلهم سيرًا على

⁶⁶. أحمد مجدي همام: موت منظم، ص18

⁶⁷. فاطمة الزهراء شريفى، مليكة زوقاري: استحضار التاريخ في روايات واسيني الأعرج، البيت الأندلسي أنموذجًا، جامعة عبد

الحميد بن باديس مستغانم، ص18

الأقدام في الصحاري، تعرضوا للقتل، والاعتصاب، والشمس، والجوع، والعطش، أكلوا الجلود والميتة ولحم البشر، تم اغتصاب النساء وقتلن، ألقوا الأمهات والأطفال من قمم الجبال أو أحياءً بالنهر؛ فتأكل الكلاب والنسور جثة من يطفو، ساروا أكثر من ألف كيلو مترًا، مات منهم الآلاف بالصحاري، أشعلوا فيهم النيران . لم يصل إلى حلب والموصل سوى خمسين ألفًا من حوالي سبعمائة وخمسين ألفًا في بداية رحلة النفي. حيث قتل الكثيرون في صحراء مارات، ومن ينجو منهم يفتش من قبل الحراسة، نقلت السفن الإنجليزية والفرنسية الموجودة في البحر المتوسط آلاف الأرمن إلى الإسكندرية وبور سعيد. كان للعرب موقفًا إيجابيًا من الأرمن حيث " قدم العرب العون إلى الآلاف من الأرمن الذين طاردهم الموت، وواجهوا المجهول"⁶⁸ حيث " تركت تركيا أعدادًا من الأرمن يفرون إلى البلاد العربية، وأعزت للعرب بقتلهم، فرفضوا. وهو ما يحسبه الأرمن للعرب."⁶⁹ لأنهم رفضوا الأوامر بإبادة الأرمن حيث " رفض الولاة والرؤساء والموظفون ذو الأصول العربية أن ينفذوا الأوامر الصريحة بإبادة الأرمن المرشحين، وواجهوا عقوبات بلغت حد الإعدام. لم ينفذ الوالي العربي في دير الزور ما تلقاه من أوامر عثمانية. زاد فشيء مبنى لحوالي ألف من أطفال الأرمن، واستضافهم. لفترة في دير الزور. قبل أن يطرد من منصبه."⁷⁰ حيث إن السلطات كانت تقوم بعزل وطرد من يساند الشعب الأرمني من الحكام العرب.

في رواية **ميمي زهرة أرمنية البيضاء** تناول الكاتب أسباب الترحيل من خلال الأحداث الروائية حيث وضح أن رد فعل الأتراك على حركة مقاومة شباب الأرمن عنيقًا، أحرقوا المدينة، حطموا البيوت، أمرهم بالهجرة، وهذه الأحداث الروائية مطابقة لما ذكره بكتب التاريخ من أحداث التهجير والطرد خارج الوطن، وكل من رحل تم قتلهم ورميهم في حفر بقلب الصحراء. والذين نجوا اتجهوا إلى سوريا والعراق ولبنان، وكان التهجير سيرًا على الأقدام، باع أغلب الأرمن بيوتهم للأتراك والكرد، حرص الكاتب على الفكرة الروائية التي مضمونها بقاء سيفان ومنعه من التهجير دون باقي الأرمن، ليوسع المجال لحكيه ولأحداثه فينقل صور من عذاب الأرمن الحقيقية عبر الأحداث الروائية مستندًا إلى شخصية سيفان وأسرته، إلى جانب اعتماده على بعض الشخصيات الروائية لخدمة هدفه،

68. محمد جبريل: صيد العساري، ص23

69. السابق: ص23

70. السابق: ص24

كريمون الذي جعله الكاتب قتيلاً من قبل الأتراك ومعلقاً من رقبته فوق باب البيت الحديدي، ولن يذكر الكاتب مثل هذا ليخبر عن ريمون ولكنه أراد التعبير عن مأساة الشعب الأرمني كافة.

وإشارة إلى من تستر على الأرمن ساق الكاتب قصة مصطفى الكردي الذي وشي بامرأة كردية أوت فتاتين من الأرمن حيث قبض الجنود على الفتاتين وسحبوا السيدة على وجهها، فضربوها بالرصاص في رأسها، وسحبوا الفتاتين عاريتين على الأرض.

كما أشار الكاتب إلى أن تاريخ التهجير الحقيقي كان في نهاية أبريل من عام 1915م، وصدور التعليمات من طلعت باشا وجمال باشا بتهجير الأرمن. رحل الجميع فيما عدا سيفان الذي شك الأتراك في امتلاكه الصور حاصروا بيته، همس لزوجته بالهرب ليبدأ الكاتب حكي مأساة ميمي، التي حاولت الهرب إلى بيت جاريتها فاطمة ولم تتمكن بسبب قبوع الجنود في الشوارع يقتلون الأرمن، فوجدت والدها مقتولاً مفصول الرأس وقد علقوا رأسه فوق باب البيت، وباقي الجسد قد تكوم بالأرض. أصبحت ميمي الطفلة الضالة وحيدة في الدنيا لن تجد حولها بالحديقة التي اختبأت بها إلا جثث القتلى بديلاً عن الزهور، لترى الجنود يصطحبون شباب الأرمن العراة ويطلقون على رؤوسهم الرصاص واحداً تلو الآخر فتاهت ميمي وسط الجثث، إلى أن عثر عليها الشحاذ وسط الجثث.

يستعين الكاتب بشخصية طه ليستتطق ميمي لعرض مصير والدتها الذي مثل مصير الشعب الأرمني، والإجابة أتاحت للكاتب فرصة الحكي وتصوير وضع الشعب الأرمني، حيث سرد الكاتب على لسان ميمي مصير منازل الأرمن فقد نهب أصحابها ونهبت الأموال والذهب، وحرم السير في الشوارع؛ لذلك أخذ الشحاذ ميمي وهي متخفية، استعانت فاطمة بأخيها الضابط التركي لتهديب ميمي، أتاح له الكاتب فرصة الحوار ليكشف عما فعله الأتراك بالأرمن في الصحاري فقص الأحداث على لسان شخص منهم حيث قال أن الذخيرة نفذت في أجساد الأرمن فدبروا لقتلهم في الصحاري توفيراً للذخيرة، وحرصوا الفلاحين والبدو عليهم لأنهم كفار ويجب على المسلمين ذبحهم، فذبحهم الفلاحون بالمناجل، كانوا يدفعون الذهب مقابل شربة الماء لأطفالهم، وأشار الكاتب عبر هذه الأحداث إلى مساعدة بعض الأتراك مستنداً إلى الضابط التركي شقيق فاطمة، حيث كان يلقي بالذخيرة في نهر الفرات، ويعد قتلى وهميين على الأوراق ويضرب الجثث المقتولة بالفعل عندما يكشف أمره، كما أشار إلى أمهات قامت بإلقاء أطفالهن في النهر بعيداً عن الرصاص والتعذيب.

قصت الأم قصة عذابها حيث تم اغتصابها وبيعها لقاطع طريق واشترطوا عليه إن تركها يضع لها وشماً على وجهها، إلى جانب حدث السفينة التي حملت أطفالاً فأطلقوا عليها القذائف؛ فهبطت في القاع بالأطفال، مات أكثر من ألفي طفل، هذه الأحداث من وحي خيال الكاتب لكنها موازية لما حدث بالأرمن؛ فقد احتوت كتب التاريخ على أحداث أشد هولاً من تلك الأحداث الخيالية، كما عمد الكاتب إلى وصف تعذيب الأطفال خاصةً حيث إنهم أولى بالشفقة والرحمة ولا ذنب لهم، وبالرغم من هذا لم نجد بهم شفقة ولا رحمة على مدار الأحداث

نزل المهاجرون بحلب ثم إلى مدينة دير الزور سيراً على الأقدام، حيث أشار الكاتب إلى الحاكم العربي علي سواد باي، وهو من حكام العرب الذين ساعدوا الأرمن، وأشار إلى أنشطة الأرمن في دير الزور من زراعة وتربية ماشية ودواجن، وهذا الحدث يفصح عن تكيف الأرمن مع جميع المجتمعات، أنطق الكاتب الشخصية بهذه الحقيقة التاريخية قائلاً "أقمنا حياة من قلب العدم كما تعودنا دائماً في كل البلدان التي لجأنا إليها"⁷¹

بسط الكاتب في الأحداث وأسهب، ليعرض صورة كفاح الشعب الأرمني حتى ولو كان في أرض غريبة. كما أشار عبر الأحداث الروائية إلى إكرام العرب للأرمن، وتقدير الأرمن لهذا. وتحريض الدولة العثمانية حكام العرب على طردهم من البلاد كعلي سواد باي لكنه رفض الاستجابة، وتم تولية زكي بك الجركسي، ومداهمة الأرمن في دير الزور، وقتلهم حيث قتل السيد زكريا، وكان مصير الطفلة ميمي إلى الملجأ، الأحداث روائية لكن فيها إسقاط على ما حدث بالأرمن.

كما أشار الكاتب بالأحداث غير مرة إلى كرم العرب وإنسانيتهم وإكرامهم للأرمن خلال الأحداث الروائية. يمثلهم السيد علوان الذي أكرم فتيات الأرمن في الملجأ، وأكرم ميمي ووالدتها، فقد ساعد مريم والددة ميمي على العلاج وتزوجها وجمع القدر بين الأم والأخ والأخت، كما وفر السيد علوان العمل لتوما شقيق ميمي، وكان زوجاً كريماً للوالدة.

بعد لقاء الأم بميمي قصت عليها ما رآته من عذاب وأهوال، فسرد الكاتب ما رآته الأم على لسان حالها وهو يرمي إلى حال جميع الأرمن، حيث سارت عبر نفق مظلم وانضمت لقافلة من قوافل المهجرين عبر الصحراء فساروا حفاة فوق الرمال المحرقة، وسردت رؤيتها للأرمن المقيدون بالسلاسل وتم إطلاق الرصاص عليهم إلى جانب قتل الأطفال والنساء

71 . عبد العزيز السماحي :ميمي زهرة أرمينية البيضاء، ص212

والشباب، واغتصابها من اللص وأسرها بين يدي قطاع الطرق، خدمت بين البيوت وهي مصابة، كما قصت الأم حدث شق بطون الحوامل للمراهنة على نوع الجنين، وتم بيع الأم حتى وصلت إلى يد العربي السوري الكريم، الذي استند الكاتب إلى شخصيته ليمثل لكرم العرب.

تلك الأحداث من خيال الكاتب ليصور رحلة عذاب الأرمن وليس المقصود بها الأم بعينها حيث إنها تمثل كافة الشعب الأرمني، عبر الحدث انتقل الكاتب لفكرة أخرى ألقى الكاتب الضوء عليها عبر الأحداث الروائية حيث إن توما تبنته أسرة تركية ليكبر ويذهب إلى الجيش التركي، فيقتل أحمد شوكت أمامه فيذهب إلى فان ليحضر ما تركه أهله من صور وذكريات ويمسك بأول طرف أوصله إلى والدته وأخته أوصلته إليه السيدة فاطمة، فأخذ يبحث عنهما حتى وصل، وفي هذه الرحلة عرض الكاتب لكرم العرب وإكرامهم للعرب وألح على هذه الفكرة مرة أخرى، حين تم اللقاء بين توما وعائلته.

في رواية **بالأمس كنت ميتاً** ورد بالرواية أن التهجير " كان المقصود به إخلاء الأناضول لتبقى منطقة حربية، ومن ثم حفاظاً على حياة المدنيين العزل من الأرمن"⁷² أوضحت الكاتبة أن هذا الكلام طمس للحقائق عبر مالك. فأوضحت أن التهجير كان عملية تصفية ممنهجة للأرمن للتخلص منهم، وأوردت ذلك من خلال سالار حين أخبرهم بأن الأوامر سوف تصدر بالترحيل ونصحهم بالهجرة وترك كل شيء سوى المال وبعض الملابس. فيقول " وغداً ستصدر الأوامر بفعل الشيء نفسه هنا.. في آمد. يجب أن ترحلوا. لا وقت لديكم لتضيعوه. اتركوا كل شيء. لا تأخذوا سوى المال وبعض الملابس ... سوف تحتمون بالمسلمين، ستضيعون وسطهم، ولن يستطيع أحد التعرف عليكم."⁷³

قصت الكاتبة حدث ترحيل الأرمن على لسان الشخصيات حيث كانت كل شخصية منوطة بدور مهم وفعال بالنسبة للحدث حيث فذكرت وضع الترحيل في سياق الحديث عن ابنة آرام على النحو الآتي " الوضع هنا لم يصبح آمناً، هكذا قالت لأبيها وأمها حينما أعلمتهم بقرار الرحيل."⁷⁴

كشفت الكاتبة من خلال الحدث الروائي عن أحداث التهجير، يتضح ذلك عبر النص الآتي " كانت الأقليات دوماً هي الدماء التي تتغذى عليها الدول العظمى... هلك الآلاف

⁷² .رضوى الأسود: بالأمس كنت ميتاً، ص186

⁷³ . السابق: ص67

⁷⁴ . السابق: ص75

جوعاً وبرداً، وحينما فر من استطاع منهم البقاء على قيد الحياة، ونزلوا إلى السفوح حيث استقروا في أكثر من بلدة، تبعهم العثمانيون إلى سعرت بأمر من حاكمها حلمي باشا، حيث اعتقلوا جميع الرجال وسلبوا بيوتهم، ثم قاموا بتعريتهم وقتلهم بالسيوف، وبعد عدة أيام صدرت أوامر بترحيل ما تبقى من نساءهم وأطفالهم إلى ماردين، حيث تقوم الخيالة الكردية من الحميديين بالإشراف على رحلات التهجير.⁷⁵ ما سبق ذكره من قبل سالار الكردي هي حقائق مسجلة بالتاريخ ذكرتها الكاتبة عبر الحدث الروائي على لسان الشخصية الروائية سالار. فمن الممكن أن تكون الكاتبة جعلت من سالار الكردي ناقلاً للأحداث لتنتقل الصورة واضحة كما جاءت حقيقيةً بالتاريخ، فيتم وصف أحداث الترحيل على لسانه حيث يقول "صاحبنا رحلة المهجرين، نعطي نحن ظهور الخيل، وهم يجرون ما تبقى من طاقتهم، يموت الأطفال في الصحراء الشاسعة، وتضرب الأمهات بالسياط على ظهورهن كي يتابعن المسير، ولا يلتفتن لمن وقع من أبنائهن صرعى الإثم الفاحش لجنون السيطرة والتعطش للدماء. في الثلث الأخير من الطريق، أنتنا أوامر من حاكم سعرت بقتل المرحلين جميعاً نساءً وأطفالاً."⁷⁶ كل ما قصه سالار يتوازى مع أحداث التاريخ، ثم يستكمل وصف أحداث التهجير قائلاً "وفجأة هب علينا من كل صوبٍ وحذبٍ رجال ونساء كرد يحملون السكاكين والسيوف والحجارة، يشاركون الخيالة في عملية التصفية، كان كل شيء مصطفاً بدقة."⁷⁷

قدمت الروائية من خلال الحدث الروائي فكرة متابعة العثمانيين للأرمن الفارين للتخلص منهم، اتضح ذلك من قصة بيروز الأرمنية التي تربت مع الأسرة الكردية بعد افتقاد أهلها حيث حارت العائلة الكردية في تهريبها كادوا يتركونها وكأنها ميتة، فحاروا في أمر هروبها فقال سالار "خروجها حتى لو متخفية، يحمل مخاطرة الوشاية... وأن هناك مكاناً محجوزاً لها فوق أحد المراكب المغادرة شاطئ بور سعيد، فوجدا نفسيهما مع جموع من الأرمن ممن نجحوا في الفرار على متون السفن والمراكب التي كانت تتطوع لإنقاذهم ونقلهم من أرض الجحيم. كانت السلطات المصرية على علم بتلك الوفود المنتشرة، الموتى الأحياء، يستقبلونهم بشفقة."⁷⁸ أفصح الحدث الروائي عن مصير الأرمن وما آل إليه حالهم، وشفقة

⁷⁵ رضوى الأسود: بالأمس كنت ميتاً، ص 87

⁷⁶ السابق: ص 88

⁷⁷ السابق: ص 89

⁷⁸ رضوى الأسود: بالأمس كنت ميتاً، ص 98

المسلمين عليهم اتضح ذلك من موقف كروان الذي تنصر من أجل بيروت، ذلك في المقطع الآتي " قابل القس وطلب منه الدخول في المسيحية، ثم تزويجها جل ما فكر فيه وقتها أن هذا أقل اعتذارًا يقدمه لبيروت.. ولروحه."⁷⁹

مما يؤكد ما كان يفعله الأرمن من تتبع للمرحلين من الأرمن في البلاد العربية الآتي " لقد علمنا من بعض المصادر الموثوقة بأن أيتام المهجرين الذين ماتوا على جنبات طرق آمد، خربوط، أضرور، سيواس، قد تبنتهم بعض الأسر المسلمة في بيوتهم. نأمركم بجمعهم وإرسالهم إلى الصحراء مع المهجرين."⁸⁰ هذه أمور حقيقية نص عليها التاريخ، فالأتراك كانوا يرفضون ما يفعله العرب من احتواء للأرمن.

في رواية **العشاء الأخير** عرض الروائي عبر الفيلم الوثائقي الحال بعد صدور قرار التهجير؛ فاستبدل السلطان بثلاثة سلاطين هم طلعت باشا وأنور باشا وجمال باشا، أصبح اشتراك الأتراك في تهجير الأرمن، وذبحهم، وقتلهم، واغتصاب النساء والفتيان عملاً وطنياً وواجباً دينياً، ثم عرض الفيلم لمسيرات بالطوابير من الأرمن في الصحراء يحرسها مدنيون يمسكون بأسلحتهم.

صورت الأحداث الروائية رحلة عذاب الأرمن في الصحاري والطرق وتشردهم في البلدان، وما حمله الحدث الروائي هي حقائق تاريخية وردت حقيقة بكتب التاريخ بنفس الصورة التي صورها الكاتب مع اختلاف الشخصيات؛ فاستعان بشخصيات روائية خيالية صور خلالها الأحداث، يتضح ذلك عبر النص الآتي: " الزوجة التي كادت أن تفقد طفلها البكر عشرات المرات طوال الرحلة الطويلة في صحراء سوريا والأردن، وحتى بعد أن دخلوا مصر وهي نائمة فوق حمار هزيل تصارع الموت، وطفل يصرخ طالباً شربة ماء لا يقدر الأب على تأمينها، وأب ينفجر الدم من قدميه العاريتين اللتان باع حذاءهما الجلدي في سوق عكا حتى يشتري هذا الحمار."⁸¹ فعرض المقطع لصورة التهجير التي توازت مع الواقع.

في رواية **الباشا** ساق الكاتب حدث التهجير عبر السرد في سياق الحدث الروائي، حيث إنه في أثناء بحث الصديقان عن صديقيهما الأرمني وجداه ينظم جحافل الأرمن الوافدين عبر البحر السكندري هرباً من المذابح الحميدية؛ فتسللوا إلى الأراضي المصرية. لم يتطرق

⁷⁹. السابق: ص 99

⁸⁰. السابق: ص 178

⁸¹. ميسرة الدندراوي: العشاء الأخير، ص 38

كاتب رواية الباشا إلى تفاصيل حول تهجير الأرمن أكثر من الإخبار بتسللهم إلى الأراضي المصرية؛ وذلك يعد تقصيراً في سرد أحداث مثل تلك الأحداث التي تخص تهجير الأرمن. في رواية **موت منظم** قبل التفصيل أشار الكاتب إلى حدث التهجير، حيث ذكر عبد الرحمن أن أوامر الترحيل صدرت من طلعت باشا وأنور باشا وجمال باشا بترحيل الأرمن من شرق الأناضول في مسيرات، وأشار إلى عدد الضحايا الذي بلغ مليوناً ونصف مليون أرمني، ذلك ما سجله التاريخ.

سرد الكاتب حدث الترحيل تفصيلاً متمثلاً في الطفل آرام وما ذاقه أثناء التهجير بعدما أصدر الباشاوات مرسومهم بترحيل الأرمن من سبتمبر 1915م، يحكي الطفل أن من يمضي في مسيرة ترحيل لن يظهر ثانيةً فيقتل في الصحراء، فقد قاموا بنزع السلاح من الجنود الأرمن وساقوهم إلى المضائق الجبلية وقتلوهم غدراً، في أثناء الترحيل سار المرحلون ليلاً نهاراً، مروا بقرى تركية وكردية تعرضوا فيها للرجم، كما تعرضوا لهجمات قطاع الطرق، وأخذت أموالهم، وأكملوا سيرهم في الصحراء، ومن الأرمن من ترك أطفاله للأتراك أنفسهم لينجو من مذابح الطريق، فيقول آرام "سمعت أرمينية تقول لأخرى إنها فضلت أن تترك ابنتها المراهقة في حوزة آغا تركي في أضنة".⁸² ومما يعبر عن صور قسوة رحلة التهجير المرأة التي رشفت دماء خروف مذبح حتى تتمكن من مواصلة المشي.⁸³ قد أغفل الكاتب كثيراً من صور العذاب الحقيقية التي لاقاها الشعب الأرمني أثناء التهجير.

ومساعدة العرب للأرمن مثلها الشيخ عدنان الطويل للطفل والخالة وإمدادهم بالطعام، ومنحهم شيء من الأمن، فيقول آرام "هكذا وجدنا بين العرب شيئاً من أسباب الحياة التي سلبنا إياها الأتراك".⁸⁴ ذلك لأن العرب دعموهم وساندوهم كثيراً، فقد منع شيخ من العرب الطفل أن يلتحق بأهله المهجرين الذين سيدبحون، وأمره بالهرب فأنقذ حياته.

المبحث الرابع: أحداث المذابح وصور العذاب

يتضمن هذا المبحث عرض أحداث المذابح في الروايات نموذج الدراسة مع التحليل للأحداث ومدى مصداقيتها، ومطابقتها للأحداث، ففي رواية **صيد العصاري** تمت إبادة

82. أحمد مجدي همام: موت منظم، ص43

83. السابق: ص43

84. أحمد مجدي همام: موت منظم، ص45

الشعب الأرمني ببشاعة، يتبين ذلك من المقطع الآتي " لم يكن ما حدث مجرد إبادة شعب، قتل وتشريد مليون ونصف مليون مواطن من أبناء أرمينية، نصفهم من الأطفال. المجلدات والكتب العلمية تمزقت إلى أوراق، غلف فيها الجبن والتمر وبذور التمر. المخطوطات والمنمنمات الأثرية والرموز المعمارية، وكل ما يتصل بالحضارة الأرمينية، بداية من ثلاثة آلاف سنة.. ذلك كله تعرض للدمار والتشويه، حتى الصلبان نزع من جدران الكنائس، وسلب ما بها من أثاث وأيقونات." ⁸⁵ المقطع السابق عكس مشاهد الخراب وعذاب البشر الذي لحق بأرمينية.

من تقصي أحداث الرواية فقد استمرت المذابح عامًا مات فيها 300 ألف شخص من الجوع والعطش والبرد والمرض حيث " بدأت المذابح بالمتقنين في مساء 24 إبريل 1915م. اعتقل الأتراك أكثر من مائتي أرمني ما بين أدباء وشعراء وصحفيين ومدرسين ومحامين وأعضاء في البرلمان. اقتيدوا. في الليل. بعيداً عن بيوتهم، وأعدموا، وأعدم ستمائة آخرون في الأشهر التالية." ⁸⁶ انتزعوا من الأرمن حتى الثياب، من الأرمن من تم بتر أيديهم وأقدامهم وسيقانهم دون أدوات طبية ولا أدوية، وباقي الأرمن أخليت بيوتهم وبيعت نسائهم وأطفالهم وأزيلت الآثار التي تدل على قومية الأرمن. جميع ما سبق معلومات عن تاريخ الأرمن لكنها سبقت على لسان الطبيب الذي عاصر تلك الأحداث عبر تقنية الاسترجاع، وكل ذلك على الصعيد الروائي.

في رواية **ميمي زهرة أرمينية البيضاء** سرد الكاتب ما حل بميمي على لسانها، وما حل بها هو بعينه ما ذكره التاريخ عن الأرمن، حيث اشتعلت مدينة فان بالقذائف والانفجارات وطلقات الرصاص فوق جدران المدينة اختبأ الناس في بدرومات البيوت والكنيسة، وأصر سيفان على الخروج، ذهب إلى الاستوديو ليجد القنابل والنيران تشتعل في المكان، الناس في ذعر والجثث ملقاه في الشوارع، عاد الأب إلى البيت مكسوراً جريحاً ممزق الملابس، وحال سيفان في الرواية هو حال الأرمن في الواقع وقت الأزمة.

ومما هو صورة مطابقة لأحداث التاريخ ما قصته ميمي من سقوط القنلى في الشوارع في مدينتهم والقرى المجاورة، والذين يقتلون في بيوتهم والمصانع التي احترقت، إلى جانب الفلاحين الذين تم قتلهم ورمي جثثهم في الشوارع، رهب الناس الخروج من منازلهم، فتوقفت

85. محمد جبريل: صيد العصاري، ص19

86. محمد جبريل: صيد العصاري، ص20

مريم لتمنع سيفان من الخروج من البيت بالعراك وارتفاع الصوت هكذا كان حال كل أرمني.

وبالرغم من هذه الأهوال لن يبأس الأرمن وأصرروا على المقاومة والدفاع عن أنفسهم، واتضح هذا من حدث رغبة الشباب الأرمني الاستعانة بالطفل توما ليكون حلقة الوصل بينهم وبن الأحرار في فان، بدأ الأتراك في جمع السلاح من الأرمن، فدب الخوف في الأرمن حيث قام البعض منهم بخداع الأتراك بإطلاق اللحية وعمل زبيبة صلاة في جباههم ليظنهم الأتراك اعتنقوا الإسلام.

يتطور الحدث بسؤال طه لميمي عن وضعهم بعد الاتحاد مع جمعية الاتحاد والترقي فتمثل الإجابة الحقائق التاريخية، فقد تم خداع الأرمن وأتت حادثة فرار بعض الأرمن إلى الجيش الروسي على جميع الأرمن حيث خطط الأتراك لإبادة جنس الأرمن بأسره.

سردت ميمي ما حدث لها وبوالدتها، وتلك صورة مطابقة لما حدث لكافة الشعب الأرمني، فقد رمز الكاتب على مأساة كافة الشعب بميمي وأسرته وبعض الشخصيات الأخرى، فقصدت ميمي أن المشاكل الكبيرة بدأت وقت اندلاع الحرب وبعد فرار شباب الأرمن والانضمام إلى الجيش الروسي، فبدأت الحكومة التركية بالمتفقين من الشعب فدعوهم لمقابلة المسؤولين في إسطنبول، استعان الكاتب بالسيد جاكوب ليمثل الطبقة المثقفة، فالحدث حقيقي لكن الشخصيات من خيال الروائي، تم تجميع المفكرين والمثقفين وقتلهم ليصبح الأرمن بلا عقول تفكر، حزننت أسرة جاكوب وانكسرت لفقدانه، وكذلك كان حال كل أسرة أرمنية قتل منها مفكر.

ثم بدأت ميمي في سرد مشاهد التعذيب التي تعرض لها الأرمن حيث بدأت السلطات تقنع الأهالي بخطورة الأرمن وبأنهم كفار ويجب التخلص منهم فبدأوا بالتنفيذ، فدخلوا الدير وضربوا القساوسة ناشرين الفتن بأن الأرمن يدسون الأسلحة لفقدان الثقة بين الأتراك والأرمن حتى لا يتعاطف معهم الأهالي، في ظل ظروف الحرب قررت تركيا التخلص من الشعب الأرمني وانقسموا فمنهم من قال بإعدام المذنبين فقط ومنهم من رأى التخلص من جميع الشعب الأرمني، القتلى في البيوت بصفة يومية، والاستيقاظ على صوت العويل.

ومن مظاهر التعذيب التي ذكرتها البطلة نقل أمتعة الجيش التركي فوق ظهور الأرمن لعشرات الكيلو مترات عبر الصحاري وقتلهم ودفنهم في الحفر، وبالتاريخ ما شابه هذه الصور كثيراً، وليثبت الكاتب تلك المشاهد أسند حكيها لشخصية ريمون الروائية، حيث

ألقى بنفسه في الحفرة مع أقرانه المقتولين وأشار الكاتب في هذا الموضع إلى أحداث المذبحة الأولى.

في وسط الحدث الروائي وهو الاحتفال بعيد ميلاد توما يكشف الكاتب عن بعض ما تعرض له الأرمن، ففي ظل الاحتفال طرق الباب بعنف وتم فتحه ودهس الجنود الكعك بأقدامهم، دخلوا كل بيوت الأرمن، حطموا الأثاث، ودهسوا كل محتويات البيت بأمر من طلعت باشا، امتلأت الشوارع بأثاث البيوت المتهدم والملابس وأدوات المطبخ، وقاموا بتعذيب القس ليفون وأشعلوا في بيته النار ليخبر عن ولده ريمون، وهذا الرجل المسن رمزاً لجميع شيوخ الأرمن .

للمرة الثانية بالرواية يتم خداع الناس وتجميعهم وتقييدهم بالسلاسل ورميهم بالصحاري وقتلهم هناك. تبدل حال الشعب الأرمني عما ذكره الروائي في بداية الرواية متمثلاً في أسرة ميمي وجيرانها فتقول ميمي " توغل الحزن والذعر في قلوب عائلتنا التي كانت سعيدة إلى أن طعنتها الأقدار بسكين حاد فتبدلت بهجتنا وأمسياتنا حداداً".⁸⁷

تبدل الحال وساد الفزع بين الناس، اعتقلوا الشباب، ومشهد القبض على سيقان يصور ما حل بالأرمن من إهانة ومأساة حيث تم سحب الرجل ولطم السيدة على وجهها وسحبها من شعرها فسال دمها، وضربوا زوجها؛ صرخت ميمي فداس الجندي على وجهها كما ضربوا توما شقيقها، ألقوا بالأُم داخل الزنزانة، وقاموا باغتصابها على التوالي، وأصبحت بصدمة عصبية أثرت على عقلها.

واستمرت مدهامة البيوت وجردوا الشباب من السلاح، ومع ذلك تحمل الأرمن حتى لا يتعرضوا للمذابح كما قصت ميمي، قاموا بمدهامة الدير بصحبة مصطفى الكردي وسحبوا الرهبان وداسوهم بالخيول سائلين عن السلاح، وهنا أشار الكاتب إلى ما حدث برجال الدين بمساعدة الكردي الذي مثل فئة الكرد المعادية للأرمن، ولم يستطع الشباب الأرمن فعل شيء إلا قليل من المقاومة.

في رواية **بالأمس كنت ميتاً** لرضوى الأسود عرضت الكاتبة لإغارات الفرق الحميدية على قرى سلوان وولاية بدليس وتلك حقائق استدعتها الروائية من التاريخ، من الرواية ما أكد وضع الشعب الأرمني تحت ظل الإمبراطورية العثمانية على لسان آرام الأرمني حيث يقول: " لم أتخيل جدية ما يقوله على الرغم من الاضطهاد الذي بتنا نعانيه، والموت الذي

87 . عبد العزيز السماحي: ميمي زهرة أرمنية البيضاء. 146

نجا به كأرمن يعيشون في كنف إمبراطرية وحشية تأكل رعاياها كانت الصورة الذهنية التي لم نستطع انتزاعها من أرواحنا للفرق الحميدية المكونة غالبيتها من الكرد الذين لا هم لهم سوى قتل الأرمن.⁸⁸

كما أفصحت الكاتبة عن صور الغارات على المدن الأرمنية على لسان سالار على النحو الآتي " اليوم أغارت الفرق الحميدية على قرى أرمنية بالقرب من سلوان عقابًا لها على عدم خضوعها لطاعة العثمانيين، حرقوها جميعًا، قتلوا كل من فيها، لم يبقوا على أحد، لم يثنهم شيخ أو امرأة أو طفل، كانوا يستمتعون بالقتل كما يستمتعون بطعام تلوكه ألسنتهم."⁸⁹ فتلك صورة للشعب الأرمني عقب أزمته وبعد رحيلهم إلى الدول المختلفة.

عبر الحدث الروائي أشارت الكاتبة إلى مذابح الأرمن والمجازر وصور الاضطهاد، ذلك خلال الحكى على لسان الشخصيات الروائية كالأتي " المحو الكامل لكل مظهر للحياة كانت أوامر الكبار واجبة التنفيذ، حيث تأتي من طلعت باشا وأنور باشا لولاية المدن فينفذونها بدورهم.. والموت لمن يعصي."⁹⁰

على لسان سالار رسمت الروائية صورة واضحة لمعاناة الأرمن اتضحت من المقطع الآتي " كان الهلع يملأ العيون، ينفض الأجساد، أكاد أسمع ضربات قلوبهم تعلو فوق صليل السيوف، وصرخات النسوة والأطفال والعجائز، وطققة النار وهي تأكل البيوت والأجساد."⁹¹ تلك مشاهد من العذاب مسجلة بكتب التاريخ.

أفصحت الكاتبة من خلال قصة كروان الكردي وبيروز الأرمنية عن مظاهر تعذيب الشعب الأرمني مستعينةً بسالار للقص حيث يحكي قائلاً " في ذلك اليوم، لن يستطيع كروان أو بيروز عد المرات التي قتلا فيها.. الموت يأتيهم مع كل مرة توضع فيها جثة مبقورة البطن، أو مهمشة الرأس، أو مقطوعة الأطراف، مع كل جثة ذائبة كالشمع لأم ماتت محترقة، وهي تحتضن طفلها الرضيع فأضحيا كتلة واحدة غير منفصلة، مع كل بيت يحرق بساكنيه فتندلع منه أسنة لهب شيطانية تبلغ عنان السماء تصرخ في الإله: أين أنت؟ مع رائحة اللحم المحترق، مع الدم المسفوح مع كومات الأجساد متروعة الرؤوس."⁹²

88. رضوى الأسود: بالأمس كنت ميتًا، ص 66

89. السابق: ص 67

90. السابق: ص 91

91. رضوى الأسود: بالأمس كنت ميتًا، ص 92

92. السابق: ص 93

تلك صور موازية لصور العذاب التي وردت في كتب التاريخ الخاصة بأحداث القضية الأرمنية، كما توالت الأحداث التي عرضت مأساة الأرمن بالرواية؛ فرسمت الكاتبة صورة واضحة لمظاهر تعذيب الشعب الأرمني من ذلك الآتي " بعد أن تم التخلص من جميع الذكور، رأى نساءً تمت تعريتهن واغتصابهن أمام أطفالهن."⁹³

لخصت الروائية أزمة الأرمن التي لن تغيب عن أذهان أحفاد الأرمن على لسان لوسي، ذلك على النحو الآتي " ذكرني بأن العثمانيين قتلوا مليون ونصف مليون نفس بلا جريرة، ذبحاً أو حرقاً أو رمياً في البحر حياً أو وأداً أو جوعاً وعطشاً في رحلات تهجير جماعي، كن غالبية من فيها أطفال ونسوة، أغلبهم حرموا من ستر البدن حتى من ورقة التوت."⁹⁴

عندما استكملت لوسي ما بدأه هاجوب بدأت برغبتها في اعتراف مصر بالإبادة، ظلت لوسي تبحث وراء قضية أمتها تعرضت لمظاهر من التعذيب بسبب دفاعها عن قضيتها حيث تقول " حكاية انسحاق طعام وانسحاق آدمية، حكاية أجداد يكررها الأحفاد بالوحشية نفسها وكأن الزمن لا يتغير."⁹⁵ لكن من الصعب حدوث ما أسقطت عليه الروائية من تعذيب لوسي في العصر الحالي. لكنها قد تقصد الإشارة إلى طبيعة العلاقة بين الشعبين وظلم الشعب الأرمني يتضح ذلك من قول لوسي " يغتصبيني يومياً بعد أن يؤدي صلاة العشاء، يخترقني قائلاً تسعون وراء اعتذار منا واعتراف من العالم بادعاءات كاذبة؟ ويفرض صحتها، فقد كنتم ورمًا داخلياً ينبغي إزالته، لتظل كلمة الله هي العليا وكلمة الكافرين هي السفلى."⁹⁶ استعانت الكاتبة بحدث روائي خيالي وهو تعذيب لوسي في العهد الحثي ذلك لإبراز نظرة قتلة الأرمن لهم وتوضيح السبب في إبادة الأرمن من وجهة نظر عدوهم.

من أهم مشاهد العذاب في الرواية ما جاء تحت عنوان نص برقية لطلعت باشا حيث توجد بسعرت مشاهد لآثار المجازر في التلال المغطاة بآلاف الجثث العارية تلفظ آخر أنفاسها، حيث وجدت أكوام من الجثث بالطريق.

في رواية **العشاء الأخير** عبر عرض الفيلم السينمائي عرض الكاتب لأحداث ومشاهد تعذيب الأرمن ومنه المقطع الآتي " في فجر الأحد الدامي، الرابع والعشرين من أبريل عام

⁹³. السابق: ص 94

⁹⁴. السابق: ص 273

⁹⁵. السابق: ص 279

⁹⁶. رضوى الأسود: بالأمس كنت ميتاً، ص 279

1915م، أصدر وزير الداخلية طلعت باشا، مرسومًا بالقبض على مائتين وسبعين شخصًا من الأرمن، متقفين وشعراء وكتاب وتجار وموظفي بنوك، وأساتذة، وقيد الجمع المقبوض عليه إلى إسطنبول، حيث أعدموا جميعًا وبلا رحمة.⁹⁷ هذا من مشاهد العذاب الحقيقي للشعب الأرمني، إلى جانب عرض مشاهد الإعدام الجماعية، والجثث المتركمة فوق بعضها، وأشخاص تم تعليقهم على أعمدة خشبية جردوا من ملابسهم عوراتهم مكشوفة وهم أموات.

أفصح الحدث الروائي عن مصير ذلك الشعب يتضح ذلك عبر المقطع الآتي " ما بين مليون ومليون وخمسمائة ألف شخص، لقوا حتفهم، بين عمليات إبادة جماعية، وحرق، واغتصاب، وتجويع، والبقية لقوا حتفهم في الصحراء القاحلة، حتى هؤلاء الذين وصلوا إلى بر الأمان في سوريا أو في لبنان أو في مصر، لن تتمحي من كوابيسهم هذه الجرائم البشعة، التي ارتكبتها السلطة التركية العثمانية بلا حمة، وبلا ذرة من شفقة."⁹⁸ تضمن المقطع وصف الحال الذي آل إليه الشعب الأرمني من تهجير وطرد وتعذيب وهو ما طابق ما ذكر بالتاريخ في الفصل الأول من الدراسة؛ فاستطاع الكاتب عبر الحدث الروائي عرض حقائق التاريخ، ورسم صورة متكاملة مختصرة للقضية الأرمنية حيث إنه خلال عرض الأحداث الروائية تم بث الحقائق.

في رواية **الباشا** سرد الكاتب حدث خروج جرابيد وهو يجفف يده من دماء أحد الأرمن قائلاً " أظن أن هؤلاء من يستحقون الكتابة عنهم وليس الباشا، الرجل الذي لفظ أنفاسه بين يدي الآن هو مقاتل صنديد تحمل ألم إصابته نظير طلق ناري مفتديًا ابنته الصغيرة، حافظ عليها بروحه حتى لفظها ها هنا متى حطت سفينته في الإسكندرية."⁹⁹ عبر المقطع السابق عرض الكاتب لمشهد الرجل إثر تعذيبه ليتوقع القارئ ما حل به وبابنته من تعذيب، فيكشف عن طبيعة تعذيب ذلك الشعب.

في رواية **موت منظم** أشار الكاتب في مواضع متعددة من الرواية إلى صور العذاب التي تعرض لها الشعب الأرمني، فيرى عبد الرحمن صورة لثلاث فتيات من الأرمن

⁹⁷. ميسرة الدندراوي: العشاء الأخير، ص256

⁹⁸. السابق: ص261

⁹⁹. سمير ذكي: الباشا، ص31

مصلوبات مجردات من الملابس، وصور لأطفال ونسوة وشيوخ يبدو عليهم الذعر والخوف.

ومن صور العذاب ذكر قصة الجدة التي ضربت بالسوط وظلت تبكي إلى أن ماتت وهي محمولة على ظهر ولدها. ومقتل العم بطلقة في وجهة فقط لأنه صرخ لموت والدته، ونونيا التي سحبت من شعرها إلى حقل على جانب الطريق للاغتصاب، وصمت الجميع خوفاً، كذلك عكست الأحداث حال عذاب الطفل الصغير بين الصحاري، فيقول آرام "ثلاثة شهور قضيتها في بيت الكردي طابت خلالها جروح قدمي واسترددت بعض عافيتي، ولما شعرت بأني أستطيع أن أفعلها، لم أتردد أبداً هربت، قصدت الحقول خلف القرية، ومن ثم اجتزتها إلى الفلاة، متزوداً بقرتي ماء وكسرات من الخبز الجاف في زوادة على ظهري. مشيت ليلتين، كنت أمضي في الظلام وأكمن في النهار، لقد صار ذو العشر سنوات شباً ليلياً." ¹⁰⁰

إلى جانب الفتاة التي تزوجها الأرمني دون رغبة منها وأجبرها على الإسلام لتتجو بنفسها من الموت. إلى أن وانتهت الفرصة لتهرب مع الطفل آرام حيث لاقى الاثنان الأهوال بالطرقات، فيقول آرام "مررنا بمحاذاة الإسكندرية، وقطعنا شوطاً في الصحراء، من بين الكثبان الرملية بدت خيام العرب تلوح عن بعد، ورأيت نساءهم المتشحات بالسواد، كنت أتسلل بين الحين والآخر وأخطف بعض الأعشاب من أفواه الماشية التي يرعوها، أخذ عوداً أخضر وأعطي الآخر لنونيا." ¹⁰¹

إلى جانب تتبعهم في البلاد التي ألوا إليها كهدم مخيمهم في بور سعيد الذي حوى المستشفى ومدرسة سيفان، والمشاكل والمخابز المنتشرة والكنيسة، ومجلس مطرانية الأرمن الأرثوذكس، حتى أصبح المخيم كمدينة صغيرة مكنة من ثمانية آلاف أرمني أغلبهم من أبطال المقاومة في حادثة جبل موسى التي تمت الإشارة إليها . فأحداث الرواية التي عكست صور عذاب الشعب الأرمني قليلة وأبسط من الصورة التي وردت عليها في كتب التاريخ.

المبحث الخامس: الأرمن في مصر

¹⁰⁰ . أحمد مجدي همام: موت منظم، ص44

¹⁰¹ . أحمد مجدي همام: موت منظم، ص45

يتضمن المبحث تناول طبيعة العلاقة بين الأرمن والمصريين من خلال الروايات مقارنةً بما ورد في مراجع التاريخ بالفصل الأول من الدراسة، ذلك من خلال ما يخص تلك الجزئية من نصوص الروايات كما سيتبين

في رواية **صيد العصاري** من الأحداث التي تعرض للعلاقات بين المصريين والأرمن، وتسقط على وضع الأرمن في مصر، وضع عائلة نورا حيث الإقامة بالإسكندرية وامتلاك مكتب للتصدير والاستيراد، وتبادل الزيارات بين صلاح شاکر وعائلة نورا، واحتفاله معهم بالاحتفالات الأرمينية، واستقبال العائلة له بحفاوة وتقديم أشهى المأكولات اعترافاً بجميل المصريين عليهم. إلى جانب افتتاح الجد ورشة صغيرة لصناعة الجلود في مصر والاستقرار بالإسكندرية.

في رواية **ميمي زهرة أرمينية البيضاء** انتقل السيد علوان بالأسرة الأرمينية إلى القاهرة ليعرض الكاتب لدور المصريين بالنسبة إلى الأرمن، فأخبر الكاتب عبر الحدث الروائي أن الكثير من الأسرات الأرمينية قدمت إلى مصر، وأحسن المصريون ضيافتهم، وهذا ما اتضح في بداية الرواية خلال ذكر ميمي للمصريين وحوارها مع طه عنهم في ذلك الموطن أشار الكاتب إلى دور المصريين تجاه الأرمن وطبيعة العلاقات بين الشعبين. سوف يتضح ذلك بشكلٍ تفصيلي عبر عرض عنصر الحوار؛ لأنه تضمن اعتراف صريح من ميمي بدور المصريين في حياتهم، وفي وقوفهم مرةً أخرى.

تضمنت الرواية تاريخ المسألة الأرمينية من بدايتها حتى نهايتها، مروراً بمشاهد العذاب التي بثها الكاتب وسط الأحداث الروائية التي تعادل ما وجد بكتابات التاريخ، وبالتالي استطاع الكاتب الإحاطة بتاريخ الشعب الأرميني، مستعيناً بالأحداث الروائية والشخصيات الرمزية متبعاً قواعد الفن.

في رواية **بالأمس كنت ميتاً** عرضت الكاتبة لوضع الأرمن في مصر؛ فانتقلت بأحداث الرواية من القديم إلى الحديث، انتقلت إلى حياة الأحفاد لتتقل طبيعة التواجد الأرميني في مصر، حيث تقول لوسي " لكنني وعلى الرغم من تعلقي بجذوري، وبحثي في طبيعة العلاقات والحكايات التي ربطت بين الكرد والأرمن على مر التاريخ، وتحديداً قبل مجازر الأتراك العثمانيين للأرمن، فأنا مصرية أكثر من المصريين."¹⁰²

¹⁰². رضوى الأسود: بالأمس كنت ميتاً، ص105

من خلال الحدث الروائي تم عرض ما حدث بالأرمن قديماً كالمذابح، كما أفصح الحدث أيضاً عن القضية الأرمنية بالنسبة للجيل الجديد من الأرمن وما ترتب على أحداث الماضي ذلك مروراً بعلاقتهم بمصر وأهلها، حيث توطدت العلاقات بين الأرمن والمصريين بعد رحيلهم إلى مصر؛ فنجح الأرمن في مصر وحققوا كثيراً من الانجازات ذلك بسبب تكيفهم مع المجتمعات كما جاء بمبحث الصورة الاجتماعية للأرمن من الفصل الأول.

ارتبط الأرمن بمصر وأصبحوا مصريين فتقول لوسي "إن مصريتي هي نخاعي الشوكي".¹⁰³ فقد عاش الأرمن بمصر لكنهم لن ينسوا ما حدث بأجدادهم ورجبتهم في الانتقام يتبين ذلك من المقطع الآتي حيث تقول لوسي "كانت قوة عاتية تحركني، أردت الثأر لعظام الأرمن التي غطت كل سنتيمتر من تلك الرقعة المترامية الأطراف في رحلات التهجير التي لقوا فيها حتفهم ... كنت أريد طمأنة كل امرأة وطفل وشيخ ورجل بأن دماءهم التي جرعها العثمانيون حتى الثمالة سوف يتقيؤونها في قبورهم، وأن حفتهم سوف تجرع الذل والعار من كل مسامات جلدتهم."¹⁰⁴ نعم الأرمن بحياة التآخي بينهم وبين المسلمين عبر الحدث الروائي حيث مثلت الروائية الاختلاط بين جميع الفئات على أرض مصر مع توطيد العلاقات.

نال الأرمن مشاعر الشفقة من الشعب المصري، هذا ما اتضح من الأحداث حيث قالت لوسي مستنكرةً ما حدث بأجدادها "أهنالك إله يقر ويحلل ذبح البشر ويؤصل للكراهية والبغضاء."¹⁰⁵ فردت ليلي عليها في حزن "إن هؤلاء المهوسين بالدم لم يذوقوا حلاوة الإيمان الحقيقي بوجود مذهب لقوة حب خلاقة لم تبدع سوى الجمال، إنهم ببساطة لم يعرفوا الله، ولم يصلوا إليه، كما أفصحت الأحداث الروائية عن دور أحفاد الأرمن في الانتقام لأجدادهم قام بإبراز هذا الدور هاجوب، فقد حاول الحصول على اعتراف الدول بالإبادة الجماعية للأرمن، فتقول لوسي "حينما حضر هاجوب إلى مصر بعد وفاة ميرا، حدثني عن نشاطه المكثف في الجمعية التي أنشأها في ألمانيا، والتي تركز كل مجهوداتها ومؤتمراتها في الداخل والخارج، لجمع أكبر قدر من الاعتراف الدولي بالإبادة الجماعية

¹⁰³ . السابق: ص 106

¹⁰⁴ . السابق: ص 110

¹⁰⁵ . رضوى الأسود: بالأمس كنت ميتاً، ص 172

للأرمن.¹⁰⁶ كما يتضح دور الأرمن في مصر من دور لوسي التي جمعت صور للإجرام والقتل، وشهادات الأحياء بالإبادة، وشهادات من قاموا بالمذبحة، والأحكام التي تم تجاهلها على مرتكبي المذابح.

أفصحت أحداث الرواية عما تعرض له جيل الأرمن الجديد من مخاطر حتى نالوا الاعترافات بالإبادة، نصت بعض النصوص من الرواية على ذلك على النحو الآتي حيث قالت لوسي " بعدها بدأت ترد لنا أخبار من الأرمن الذين يقومون على جمعيات مشابهة في دول مختلفة، قالوا لنا إن العمل الذي نقوم به في دولة مثل المانيا محفوف بالمخاطر نظرًا لاحتضانها أكبر جالية تركية في العالم، واحتوائها على عدد كبير من الإخوان الذين يحملون بعودة الخلافة، ويرون أن الإبادة ما كانت سوى شكل من أشكال الدفاع عن الدين، وقد نصحونا بالتخلي، ولو بشكل صوري عن نشاطنا وإغلاق الجمعية." ¹⁰⁷ هنا أبرزت الأحداث الروائية حال الأرمن في مصر بعد المذابح منهم من أصر على الانتقام والقليل منهم من سامح في حقه لكنه تراجع عن التسامح بالتشجيع من إخوته الأرمن كما حدث مع لوسي وهاجوب فقالت لوسي " كان كله يقينًا وحماسًا وثقة بقضيته التي كان يراني أهملها أو بالأحرى أتجاهلها، كنت قد آثرت التسامح، فمن خطط للمذبحة إما قضى نحبه بشكلٍ طبيعي أو مقتولًا، كما قتل طلعت باشا." ¹⁰⁸

عرضت الكاتبة لموضوع ذوبان الأرمن في مصر عبر الرواية على لسان لوسي حيث قالت " أحيا هاجوب أرمني بعد أن ذابت في عشق مصر، بعد أن توارت خلف تسامح وغفران الأرمن المصريين." ¹⁰⁹ هنا تبينت صورة الشخص الأرمني الذي يتعايش ويتكيف مع المجتمعات ولا ينصهر ويحن دائمًا إلى وطنه مهما طال البعد عنها اتضح ذلك من علاقتهم بمصر التي لاندوا إليها.

قصت الروائية قصة رحيل لوسي بسبب حل المشكلة العاطفية؛ لكن الهدف الرئيس هو توضيح موقف أحفاد الأرمن من قضيتهم ومن أعدائهم القدامى؛ فجعلت الكاتبة الحدث الروائي جسرًا لسرد الأحداث الحقيقية، كما تتضح علاقة الأرمن بمصر من شدة إصرار لوسي أن تموت على أرض مصر وتدفن بها.

¹⁰⁶ . السابق: ص 268

¹⁰⁷ . السابق: ص 271

¹⁰⁸ . السابق: ص 271

¹⁰⁹ . رضوى الأسود: بالأمس كنت ميتًا، ص 273

عبر الأحداث الروائية الحقيقي منها والخيالي استطاعت الكاتبة رسم صورة للأرمن؛ موضحةً سماتهم، صور تعذيبهم وظلمهم، تمسكهم بهويتهم، دفاعهم عن أنفسهم، البقاء على دولتهم والانتقام لها اتضح ذلك من تداخل الأحداث عبر الرواية.

في رواية **العشاء الأخير** عبر الحدث الروائي أسقط الكاتب على حال الأرمن وقت وصولهم إلى مصر، اتضح ذلك من خلال سرد قصة مرال زوجة هاروت، فسرد الكاتب حال هاروت مدرس التاريخ الذي أضحي رجلاً هارباً من بلاده، سكن منزل قديم في مصر بعد نزوحه من بلاده نتيجة طردهم من بلادهم، في مصر تبدل حال الأرمني الهارب من المذابح إلى الشيب، وامتك بيتاً يتكون من ثلاثة طوابق

صور الكاتب العلاقات بين الأرمن والمصريين خلال الحدث الروائي حيث التقاء عاصم خورشيد وصديقه الأرمني الذي انتهى بزواجه من فانت ذات الأم المصرية والأب الأرمني ، فقد تعايش الأرمن مع المصريين وتزوجوا منهم بعد لجوئهم إلى البلاد هرباً من المذابح، فأسقط الكاتب بذكر الحدث الروائي على وضع الأرمن الاجتماعي في مصر.

أحسن المصريون معاملة الأرمن وقدموا لهم المساعدات وأحسنوا جيرتهم، احتفظ الأرمن بهويتهم داخل البلاد المصرية إلى جانب الإخلاص للعرب والمصريين خاصة، حيث إنه عندما أنجب هاروت ولد وبنت توأم نجده يقول "أحب أن أسمى البنت باسم من أسمائنا القديمة لا أريد أن تفقد هويتها إذا تزوجت من غير عرقها."¹¹⁰، فالمقطع السابق يعكس فكر الأرمني الذي يتكيف مع المجتمعات لكنه لا ينصهر ولا يتخلى عن هويته كما ذكر بالفصل الأول من الدراسة وتحديداً بالصورة الاجتماعية.

اندمج الأرمن مع المجتمع المصري فتزوجوا من المصريين، اتضح ذلك عبر الحدث الروائي وهو زواج يعقوب من زهرة وإنجاب أرتين التي أفصحت الأحداث مع تقدمها عن استشهاده في حرب أكتوبر في سبيل مصر، اعترز يعقوب الأرمني بمصر وقدم ولده فداءً لها كما يتضح من المقطع الآتي "إنتي ناسية إن أرتي هناك على الجبهة، أنا مصري مولود في البلد دي ومعايا باسبورها."¹¹¹ وجه حديثه السابق لزوجته فأفصح عن تكيف الأرمن مع المصريين.

مع تطور الحدث اتضحت مكانة الأرمن في حكم البلاد وتوصلهم لمقاليد الحكم في الدولة، أكد الكاتب على ذلك عندما عرض لرافى على لسان اللواء شكري حيث قال "رافى

¹¹⁰ ميسرة الدندراوي: العشاء الأخير، ص41

¹¹¹ السابق: ص147

كشيشيان يا محترم واحد من أكبر رجال الأعمال في البلد أصدقاؤه وزراء ومسؤولين كبار منعرفش أنا وإنت نعتدي من جنب مواكبيهم.¹¹² في المقطع إسقاط على وضع الشعب الأرمني بشكل عام وليس رافي بذاته؛ بذلك وضح الكاتب وضع الأرمن في البلاد من خلال الحدث الروائي.

في رواية **الباشا** أظهر الروائي من خلال السرد علاقة الأرمن والمصريين في مصر حيث إنه عندما ساء الوضع في مصر حين الاستعمار فإن أول من تم الإطاحة بهم الأرمن والمصريين، حيث يصف الكاتب حالهم على لسان نعيم قائلاً "الاستعمار سارق خيرها، طردوا الكثير من الموظفين الذين عينهم الباشا من الأرمن والمصريين"¹¹³ وهناك أعداء هاجموا وجود الأرمن في مصر بحجة أنهم كفرّة السلطنة العثمانية ووجوب حتفهم في البحر واجب ديني وقومي، ويروهم كالسيل الجارف أو الجراد، ويزاحمونهم في لقمة العيش. كذلك رأى لبيب اليهودي، كما ذكر بأحداث الرواية أنه من الأرمن من أساءوا إلى إخوانهم الأرمن فدخلوا عليهم واستغلّوهم أبشع استغلال .

أشار الكاتب عبر سرد الأحداث إلى فئة من الأرمن الذين تواجدوا بمصر ووصفهم بالنصب ذلك من خلال شخصية المعلم توتو حيث قامت فئة من الأرمن المقيمين بمصر بالنصب عليه فيحكى قائلاً "أن الظروف قد أوقعتة في يد مجموعة من الأرمن النصابين".¹¹⁴ أوهموه بأنهم يستطيعون أن يجلبوا له الأقمشة بأجود الأسعار وذلك سيدير عليه ربحاً كثيراً وأخذوا أمواله وفروا بها.

في رواية **موت منظم** مما يمثل وضع الأرمن في مصر وجودهم في نادي آرارات، حيث يقول عبد الرحمن "بينما يترسخ في ذهني بأني أمثل أقلية وسط هذا المجتمع المصري ذو الجذور الأرمنية عرض الروائي لدور مصر والمصريين في حياة الأرمن عبر الأحداث، فيقول الطفل آرام " طابت لنا الحياة في بور سعيد".¹¹⁵ كما عاشوا بالإسكندرية والقاهرة واستقروا بتلك الأماكن بعد سنوات العذاب والفقد والتهجير والتشرد في مختلف البلدان والقتل في الصحاري.

¹¹² . السابق: ص275

¹¹³ . سمير ذكي: الباشا، ص15

¹¹⁴ . سمير ذكي: الباشا، ص194

¹¹⁵ . أحمد مجدي همام: موت منظم، ص53

فجعل الروائي من مصر البلد التي احتضنت الشعب الأرمني، وبدأوا من جديد على أرضها، فيقول آرام" صارت بور سعيد وطنًا لنا. تزوجت بعد خمس سنوات وأنجبت أربعة أبناء. وفي غفلةٍ مني صرت جدًا. في غمضة عين، مرت حروب عدة وعقود عدة، وصرت مصريًا حتى العظم." ¹¹⁶ مقصد الكاتب هنا الإشارة إلى طبيعة وجود الكيان الأرمني في مصر، هكذا عاشوا ضمتهم مصر إليها، وعاشوا بها وتكيفوا مع أهلها لكنهم لم ينصهروا كما جاء بصفحات التاريخ.

دلل على ذلك أحداث من قبل الشخصيات الروائية، حيث إن ماجدة من الأرمن المصريين التي اهتمت بقضيتها من مصر، وأرسلتها إلى كل ذي شأن كأستاذة الجامعات في أقسام التاريخ، وقامت بتوزيع صور المقالات في نادي آارات، وإقناع الشباب من أجل الانتقام.

أشارت الأحداث إلى زيارة المصريين إلى أرمينية، حيث ذهب وفد إلى أرمينية من مترجمين وفنانين وممثلين وإعلاميين لحضور حفل الاحتفال بالذكرى الأولى بعد المئة للإبادة العثمانية للأرمن . من هنا قصد الكاتب الإشارة إلى قوة الروابط بين الأرمن والمصريين. والحدث الروائي الذي أكد قوة الروابط بين الشعبين هو قرار ماجدة بأن تتبرع بخمس مالها لبيت الزكاة والصدقات الذي يشرف عليه الأزهر. وذكر الكاتب العلاقة المتينة بين الأرمن والأزهر وهذا دلالة على قوة العلاقة بين الأرمن والمصريين. وتلك العلاقات بين الشعبين قائمة بالفعل.

الخاتمة

مما سبق عرضه من مباحث حول المسألة الأرمن يتضح الآتي:

- 1- تناولت جميع الروايات نموذج الدراسة أسباب الأزمة الأرمنية كما وردت بالتاريخ في صورة روائية، والسبب الذي أجمع عليه الروائيون المصريون هو اتهام الأرمن بالخيانة.

¹¹⁶ . السابق: ص16

2. اتفق كتاب الروايات على حقيقة تهجير الشعب الأرمني، وكذلك على طبيعة التهجير، مع اختلاف تصور كل منهما، لكن الحقائق ثابتة.
3. تشابهت صور التعذيب بين الرائيين ما بين حرق، وقتل، واغتصاب، وقذف في الأنهار.
4. لن تخلو رواية مصرية من نماذج الدراسة من استعراض طبيعة العلاقات المصرية الأرمنية، فقد أجمع الروائيون على قوة العلاقة بين الأرمن والمصريين؛ بسبب مساندة المصريين للشعب الأرمني في أزمه.
5. وجد الأرمن فرصتهم في مصر، وتقلدوا المناصب، وتعايشوا بها، وأخلصوا لها.
6. كل ما سبق حقائق من التاريخ استطاع الفن الروائي استيعابها وبلورتها بمرونة في صورة روائية ممتعة، فتحولت حقائق التاريخ إلى مادة جذابة دون تشويه لتلك الحقائق ومع المحافظة على مصداقيتها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1. أحمد مجدي همام: موت منظم، نوفل، لبنان، 2021م.
2. رضوى الأسود: بالأمس كنت ميتاً، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2019م.
3. سمير ذكي: الباشا، جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2020م.
4. عبد العزيز السماحي: ميمي زهرة أرمينيا البيضاء، المجلس الأعلى للثقافة 2013م.
5. محمد جبريل: صيد العصاري، دار البستاني، 2004م.
6. ميسرة الدندراوي: العشاء الأخير، دار الرواق، 2020م.

ثانياً: المراجع

1. إسماعيل الصيفي: قصة الأدب العربي وخطوات في نقد الشعر والمسرح والقصة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الثالثة، 1990م.
2. جورج لوكاش: الرواية التاريخية، ترجمة صالح جواد الكاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، الطبعة الثانية، 1986م.
3. جيرالد برنس: المصطلح السردي، ترجمة عابد خزاندري، آخرون، المجلس الأعلى للثقافة، 2003م.
4. حلمي علي مرزوق: تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في مصر في الربع الأول من القرن العشرين، د. ن، د، ت.
5. الرشيد بو شعير: مساعلة النص الروائي في السرديات العربية الخليجية المعاصرة، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 2010م.
6. السعيد الورقي: اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1982م.
7. الطبعة السناء سلمان العبيدي: الشخصية في الفن القصصي والروائي عند سعدي المالح، دار غيداء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2016م.
8. شفيق السيد، السعيد الباز: الفن القصصي والمسرحي في الأدب العربي الحديث، قراءة نقدية، 2010م.
9. طه وادي: دراسات في نقد الرواية، دار المعارف، الطبعة الثالثة، 1994م.
10. عبد الفتاح عثمان: دراسات في النقد الحديث " الشعر والرواية، والقصة القصيرة، مكتبة الشباب، المنيرة، الطبعة الأولى، 1991م.
11. علاء الدين سعد جاويش: ملامح الرواية عند جرجي زيدان، الطبعة الأولى، د. ت.
12. علي شلش: نشأة النقد الروائي في الأدب العربي الحديث، مكتبة غريب، دن، د، ت.
13. كمال علي عبد المقصود: البنية السردية عند أمين ريان، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم بالفيوم، 2005م.
14. ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، 2013.
15. محمد مصطفى هدارة: في النقد الحديث، دن، 1988م.
16. محمود تيمور: محاضرات في القصص في أدب العرب ماضيه وحاضره، المطبعة الكمالية، 1958م.

ثانياً: الرسائل العلمية

1. عبد الله إبراهيم : لغة نجيب محفوظ في روايته خان الخليلي والحرافيش، 1946م،
1977م، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2000م
2. عبد العزيز عقلا ن علي إسماعيل: رسالة ماجستير، الغموض عند رواد الشعر المعاصر
في اليمن، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2007م .

ثالثاً المجالات والدوريات

1. فاطمة الزهراء شريفي، مليكة زوقاري: استحضار التاريخ في روايات واسيني الأعرج،
البيت الأندلسي أنموذجاً، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.
2. ندى أحمد مشعل: التأريخ بالسرد الروائي، رواية حبي الأول لسحر خليفة أنموذجاً، مجلة
الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية ، 2020م.
3. نزيه أبو نضال: الرواية والتاريخ، حارسة الذاكرة رضوى عاشور، دورة عبد الرحمن
منيف، ملتقى القاهرة الثالث للإبداع الروائي، المجلس الأعلى للثقافة، ج2،
2005م.
4. نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، دورة عبد الرحمن منيف، ملتقى القاهرة الثالث، للإبداع
الروائي، المجلس الأعلى للثقافة، 2005م.